

المقابر

تاريخ الحضارة

مترجم عن الافرنسية

علم الكلام — بقي علم اللاهوت خلال القرون الوسطى العلم الرئيسي (والمدرسة اللاهوت في جميع الكليات التقدم علي سائر المدارس) وقد توفر علي الفلسفة خاصة ارباب العقول العاملة وكان لمشاهير علماء القرون الوسطى امثال ايلاروسان توما ودونس سكوت والبر الكبير القدح المعلى في الفلسفة وليس علم المدرسة او علم الكلام سوى فلسفة مطبقة علي اللاهوت فكان المتكلمون يتقبلون تعاليم الكنيسة كلها . قال كيتيموند اسقف افرسا لا يجب ان يفهم المرء اولا ليعتقد بعد بل يجب ان يعتقد اولا ليفهم بعد ذلك . وقال سان توما بعد حين من الدهر : ان حقيقة العقل ليست علي تناقض مع حقيقة الايمان المسيحي . ثم ان علماء الكلام درسوا فلسفة ارسطو (عرفوها من ترجمات رديئة باللغة اللاتينية نقلت من ترجمات عربية) وقد أعجبوا بمنطقه فكانوا يذهبون الي انهم باستعمالهم طرق البرهان يحلون المسائل التي لم تحلها الكنيسة . وهذه المسائل : قد تكون دقيقة مثل قول بطرس لومبارد : اذا كان الله يقدر ان يعرف من الاشياء أكثر مما يعلم . وقال دونس سكوت : اذا كانت الصعوبة في ان يكون مولودا هي خاصة في تركيب الشخص الاول في اللاهوت . وقال سان توما : اذا كان جسد المسيح عاد الي الحياة وعليه جروح وفيما اذا كانت الحمامة التي ظهر

فيها الروح القدس هي حيوان حقيقي
 وكان علماء الكلام من أكبر العاملين فقد مات دونس سكوت (الدكتور
 المحقق) في الحادية والثلاثين وقد ألف ١٢ مجلدا من قطع النصف ولخص سان توما
 (الدكتور العام) في كتابه السوم جميع افكار القرون الوسطى وعلى مختصر كتابه
 المعمول في اللاهوت بالمدارس الاكليريكية الكاثوليكية. واخترع ريموند لول في
 القرن الرابع عشر الصناعة العظمى وهي اداة للبرهان يتأتى بها حل جميع المسائل بدون
 استخدام الذهن. واذا كان المتكلمون لا يستخدمون الا البرهان الاستقرائي دون
 ملاحظة الحوادث لم يزدوا شيئا على العلم البشري وظلت فلسفتهم كما يقوون هم
 أنفسهم خادمة لعلم اللاهوت.

خزائن الكتب والادب العلمي — كان في الاديار العظمى أبدا بعض القسوس
 لاعمل لهم الاستنساخ الكتب وتزيينها فينقلون المخطوطات التي استعارتها اديارهم
 من غيرها. وعلى هذه الصورة أسست خزائن الكتب فلم تتجاوز بضع مئات من
 المجلدات (فكان في فيكان ١٤٨ وفي سان يفرول ١٣٨) لان الكتب كانت نادرة
 والرق عزيزا وجميع الكتب كانت باللاتينية ومعظمها كتب عبادة وتنسك مثل
 الكتاب المقدس وآباء الكنيسة وكتب القسوس وحياة القديسين وكان القسوس على
 صلاتهم لا يسمحون لغير هذا النوع من الكتب ويقولون ان كتب شيشرون وكتب
 فرجيل لا تنفع في سلامة النفس بيدانه كان في بعض الاديار التي يغلب عليها حب الادب
 بالاكترشي من المؤلفات اللاتينية الاخرى مثل مصنفات شيشرون وفرجيل وهوراس
 وبلين لمون والتعزية لبو بس.

كتب رجال الاكبروس كالاساقفة ورؤساء الاديار والقس في القرون الوسطى
 كثيرا من المؤلفات لانفسهم فكانوا يؤلفون في الادب والشعر ورسائل في اللاهوت
 وتواريخ يسرد فيها جميع أحداث العالم منذ البدء الى زمن المؤلف ووقائع مؤلفة من
 أخبار جافة جدا تكتب سنة فسنة تذكر فيها أخبار المجاعات والابوة والمذنبات
 والحروب ووقاة الملوك أورؤساء الاديار. كل ذلك باللغة اللاتينية وانشاء مطول مزهر
 مصنع تكثر فيه الاستشادات أشبه بلغة تلميذ تعلم اللاتينية. وكان رجال القرون

الوسطى جنباً الفكر يعتقدون أنفسهم أحط جداً من سلفهم ولا يطعمون الا في أن يقلدوهم وانك لتجد في آدابهم بعض الافكار صرح بها بقوة وبعض صحف حية في توارى مخهم ولكن أدبياتهم أدبيات طلبة فهم قوم اجتهدوا وأعوزهم الابداع .

أدب العامي — اما عامة المدن والقصور ممن لا يعرفون اللاتينية فقد اقتضت لهم كتب باللغة العامية لغة الرومان { المشتقة من اللاتينية } وهكذا نشأ نحو أواخر القرن الحادى عشر الادب الجديد فابتدأ من الشعر كما جرت العادة في أنواع الآداب فسموا هؤلاء الشعراء المتحولين وهم الذين يتجولون في شمالي فرنسا ويؤلفون أشعارهم بالفرنسية ويسمون شعراء الجنوب الطوافين وهم يؤلفون بلغة أقاليم البروفانس { البروفانسال } وكان بعضهم فرساناً وصناعة الآخر الشعر ويسمونهم المشبعين كانوا يذهبون الى الاسواق الكبرى حيث يجتمع أغنياء التجار ويقصدون قصور أعظم السادة في أيام الاعياد ويقفون ومعهم ربابة صغيرة وهذه الاشعار ذات الثمانية أو العشرة مقاطع سميت بالاغاني لانه كان يتغنى بها وسميت { بلغة البروفانسال رومانسية } لانها كانت باللغة الرومانية . وكان شعراء الجنوب أكثر خفة ولغوا فينظمون قطعاً صغيرة من الهجاء أو اغاني العشق أو اغاني الليل واغاني السحر .

وشعراء الشمال أميل الى البديهة يرمون بالحروب والغارات وحملات شارلمان ورفاقه وارتور ملك الغال وبحروب الاسكندر فكانت أغانيهم أغاني العمل وقد نظموا من هذا القبيل مدة ثلاثة قرون في الولايات الفرنسية في الشمال ووجد في أيامنا منها زهاء ألف قطعة في مخطوطات منسية من القرن الرابع عشر ومن يعلم كم فقد من نظرائها . ومن المتفق عليه بينهم ان اجملها ما كان قديماً مثل اغاني رولاند وراول دى كامبرى وكان لوتهرين وأشعار كريتي دى نزوا . وما يسقم قصائد القرون الوسطى سواء كانت بلغة الرومان أو اللغة اللاتينية الهوس في التقليد والشرح واذ لم يكن لشعراء القرن الثاني عشر أمثلة يحتذونها ذهبوا مع الطبع ونطقوا بما شعروا به ووصفوا ما رأوا . ولم يأت الشعراء في القرون التالية غير التوسع في القصائد القديمة واصلحوها ثم حدثت القصائد ذات العشرين والثلاثين ألف بيت التي لا يحكم على غير المتأدين بتلاوتها .

منشأ الهندسة الرومانية — لما أخذ المسيحيون في القرن الرابع يحتفلون على ملا

الناس بعبادتهم كانوا يجتمعون في كنائس كبرى وهي قاعات عظيمة مسطحة السقف تكون محكمة مدنية وسوقا للتجار في آن واحد فكان المؤمنون يقعدون في ساحات التجار أو الصحن وهو مقسوم الى روافق تقسمها صفوف من السوارى ومحل المحكمة على شكل نصف دائرة وأعلى الصحن كان بمثابة محراب يجلس فيه الاسقف والقس . وقد احتفظت الكنائس المسيحية زمنا باسم البازيليك (البيعة الكبرى) وصورتها ان تتألف من صحن كبير على جانبيه صحنان صغيران ومحراب يسمى عقدا بسبب العقد الذى يغطيه ثم تصوروا ان ينوا في مقدم الكنيسة برجاً أو برجين تجعل فيه الاجراس وان يستعوضوا عن السوارى الخفيفة بدعام مضمطة وان يجعلوا بدلا من الخشب والسقف المسطح المعرض للحريق بناء من حجر على شكل عقد وبذلك نشأت هندسة جديدة سميت الرومانية لانها نشأت في بلاد الرومان . فقد بدأت في ايطاليا الشمالية وجنوبي فرنسا في القرن الحادى عشر ولكنها انتشرت في جميع أوروبا الغربية والكنائس الكاتدرائية الكبرى في ورمس وسبير في المانيا هي كنائس رومانية ولا يزال في كثير من القرى في وادى الرون وفي اوفرنيا ونورمانديا كنائس قديمة على الشكل الرومانى اذ لم تتمكن حالتها المالية من ابدال ذلك القديم بطر من البناء الجديد الهندسة الرومانية — لما كانت الكنائس الرومانية قد بنيت في بلاد مختلفة وعصور متفاوتة على يد مهندسين لم يتبعوا اصولا واحدة في الهندسة فقد بعد الشبه بينها ولذلك ترى لاوفرنيا هندسة خاصة بها ومثل ذلك لنورمانديا ولا لمانيا . ولكنها كلها ترجع الى مبدأ عام وهو ان الجزء الأكثر زينة أى الواجهة متجهة نحو الغرب وقبة الجرس (وأحيانا تكون قبتان) تقوم فوق الواجهة وتنتهي بذروة محدودة وتشرف على الكنيسة بأسرها والرتاج أو الباب الأعظم يكون في أسفل الكنيسة ومنه يدخل المصلون وهو بمخنايا منقوشة وأحيانا لا يبلغ الداخل الارتفاع قبل أن يجتاز دهليزا وهو ذو سوارى في مقدم البناء والرتاج يؤدى الى صحن الكنيسة الأعظم في الوسط وعلى الجانبين عمد متينة تضمها أروقة تحمل الحوائط الداخلة التي تجتمع في أعلى البناء فيتألف منها عقد ومن كل جهة من الصحن الاكبريين صف الاعمدة والحائط الخارجى من الكنيسة صحنان صغيران ويسميان الجانبان الواطئان فالصحن الكبير والجانبان

الواطئان يفصل بينهما رواق عريض عال ينتهي في كل طرف من أطرافه برتاج متطرف يشبه رتاج الواجهة (وأحيانا تعلوه قبة جرس) ثم يكون الخورس على شكل مدور على خط مستقيم مع الصحن الاعظم ولكنه أعلى منه يوضع درجات والصحنان الواطئان يمتدان على جانبيه وكثيرا ما يحيطان به من وراء وكل هذا الشطر من البناء الذي يسمونه الرأس مغطى بقبة

وتحت الخورس غرفة معقودة وهي الناووس فيها ذخائر القديسين وقضاء الكنيسة بنوافذ تطل على الصحنين الواطئين أو الصحن الأعلى وقد أقيم في الخارج لكي تدعم الحوائط الخارجية لتحمل ثقل العقود الباهظ دعائم قبة جعلوها سندا من جانبي الكنيسة بين النوافذ وأرتجة الصحنين الواطئين وقباب الجرس كلها وأقيمتها ونوافذها على صورة العقود أى على شكل نصف دائرة مثل الابنية الرومانية القديمة وقد جعل شكل الكنيسة على صورة الصليب ورجله الذي هو عبارة عن ثلاثة أرباع مجموع رقعة المكان مؤلف من الصحن وماعلى جانبيه من الفنائين الواطئين وفيه يجتمع الناس والرواق العريض العالى يمثل ذراع الصليب والرأس المدور هو القلب وهو المحل المقدس من الكنيسة يجلس فيه رجال الدين وتقام فيه الحفلات الدينية.

هندسة رسم البيكارين — بدأ المهندسون الذين بنوا الكنائس نحو منتصف القرن الثاني عشر يستعوضون عن العقود المدورة بعقود على رسم البيكارين . وقد أحدث هذا الاختراع الذى تيسر به انشاء عقود أعلى وأخف انقلابا في هندسة الابنية . فظل الرسم العام في الكنيسة واحدا : صليبا رجله الصحن والرأس محرابه (خورس) ولكن بدلت جميع تفاصيل البناء اذ بنيت العقود كلها على رسم البيكارين لاعلى صورة قوس فارتفع الصحن الاوسط الى علو شاقق وارتفع الصحنان الواطئان أيضا وأصبحا فنائين حقيقيين . واستغني عن العمدة المصمتة التي كانت تمسك العقود بحملة من العمدة الصغيرة الخفيفة وجعل فوق الاسناد التي تمسك الحوائط الخارجية زواجر (نصف قناطر) عظيمة مارة مثل جسر هوأني فوق الصحن تدعم حائط الصحن الاكبر الاوسط من جهة واذ كانت القناطر الضيقة موطدة البنيان على هذه الصورة ساغ أن تكون فروع البناء أكثر علوا وسعة فانفرج الحائط الذى كان في الكنيسة

الرومانية يشغل أكثر من نصف الجانبيين وجعلت مكانه نوافذ. فعدت النوافذ القسم الرئيسى من الكنيسة وهي على ضروب متنوعة منها نوافذ على شكل المربع تستعمل لقلب الاجراس خاصة وهي فروج عظيمة تقسمها عميدات طويلة رقيقة الى قسمين وتشبه فرجة تتخلل الكنيسة من أعلاها الى أسفلها والنافذة من الجوانب الخارجة مزينة منقوشة من داخلها وخارجها بتخاريم من الحجر زينت بالزجاج وفوق الارنجة نافذة عظمى مدورة بسمونها الوردية وهي أيضا تتخللها تخاريم على شكل الورد وليس للسوارى تيجان بل تنتهي في ذروتها بياقة من الورق معمولة من حجر .

تغشى الكنيسة كلها من داخلها وخارجها نقوش من الحجر فمنها ما هو على الرناج والنوافذ فوق الاسناد وفي طرف الزواجر وفي جميع طبقات قبة الجرس ومقدم البناء . ولقد مبر النقاشون قعدوا ينوعون تزييناتهم فكانوا يرسمون أوراق الحجر على مثال نباتات البلاد مثل القراص والعوسج والمالك والورد وعليها مسحة من الظرف وتماثيل القديسين التي تزيد الارنجة والكوى والمشاهد المصورة فوق الرناج مشهورة بما فيها من الحياة والحقيقة وتمثل الميازيب حيوانات خيالية وشياطين غريبة الصور أو بشعتها معلقة في الفضاء وكل ذلك اختراع غريب مستفيض . وصور القبور ولا سيما في القرن الخامس عشر كثيرا ما تكون من بدائع النفس وقد بدأت هذه الطريقة في البناء نحو منتصف القرن الثاني عشر في ارباض باريز من أملاك ملك فرنسا (وربما كان ذلك في كنيسة سان ديني ونويون) ومن هناك انتشرت في أنحاء فرنسا كافة ثم في سائر بلاد أوروبا وكانت هذه الطريقة هي المعول عليها منذ القرن الثالث عشر الى أواخر القرن الخامس عشر في كل من فرنسا وألمانيا وإنكلترا . وأخذ المهندسون الايطاليون في القرن السادس ينون على مثال القدماء فآزغوا بذلك هندسة أواخر القرون الوسطى نزاعا شديدا واذ كانوا اتخذوه بمثابة اختراع للبرابرة الذين داهموا ايطاليا وهم الغوث فقد سموه الغوتي وبقي هذا التعبير لتحقير هذا الطرز من البناء يطلق عليه . وليس من ينكر اليوم ان الهندسة الغوتية هندسة متانة وابداع فاجل كنائس القرون الوسطى مثل كنيسة نوتردام دى بارى وكاتدرائيات ريمس ولاون وأميين وبوفي وكولون وستراسبورغ وبال وفريورغ كلها كنائس غوتية .

الطرز الغوتي المدني — استعملت الهندسة الغوتية بادی بدی للسكنائس ثم استعملت في الابنية الاخرى . في القرن الرابع عشر والخامس عشر خصوصاً نهض بعض السادة وأغنياء المدن فبنوا لأنفسهم قصوراً وفنادق وبنيت المدن بمجالس بلدية ولا يزال كثير من هذه الابنية باقياً الى اليوم أثراً باعراً من آثار الهندسة في إقليم الفلاندر مجالس البلديات في بروج وایبر وودنارد وفي فرنسا قصر العدلية في روان ونزل جاك كور في بورج . وأهم ما في هذه الابنية المدنية مقدم البناء فهي في المجالس البلدية تشبه مقدم بناء الكنيسة والمرقب يقوم مقام قبة الجرس وواجهة الفنادق الخاصة تطل في العادة على فناء داخلي ويفصل بين التوافذ صليب من الحجر (ومنه اشتق اسم المشبك) وهي مزينة بأبراج صغيرة من الورق وقد فتحت في السقوف طيقتان بديعة والاجنحة والابرار على شكل حقة الفلفل وهي في جميع الزوايا بارزة عن الواجهة والزوايا كلها مزودة بتأويل صغيرة وداخل الحجر مزین بنقوش أو صور منقوشة بالوان جميلة . وربما لم تعمل ابنة كهذه في البهجة والالطاف .

الطرز الغوتي المتألي — كلما تقدمنا نحو أواخر القرون الوسطى رأينا الكنائس مغطاة برسوم ونقوش متنوعة بديعة وأكثرها في الاستعمال ورق الملفوف المروج اعوجاجا غريباً فالكنيسة كانت واحالة هذه تشبه وشيا من الحجر وهذا ما يسمونه الغوتي المشعشع شاع في القرن الخامس عشر خصوصاً وأهم ماصنع منه في ذلك العصر كنيسة وستمنستر في انكلترا وبرج سان جاك في فرنسا وسان أوآن في روان . واعتاد القوم أن يزهدوا في الطرز الغوتي المتألي وان يعدوه افساداً للطرز الغوتي الخالص . لاجرم ان أجمل الكنائس بناء هي من العهد الاول لاختراع الطرز الغوتي ولكن معظم الدور الجميلة هي من بناء القرن الخامس عشر .

صفة البناء الغوتي — لم يتفق الناظرون على التأثير الذي ينشأ من الكنائس الغوتية فان معظم الزوار تملك عليهم مشاعرهم بما يرون من جلال تلك العقود العالية والسوارى الصغيرة كالغاية بكثافتها وهي في الجو محقة وبمنظر هذه القباب للاجراس المحددة والاوراق الموجهة والغيان المتخيلة والانوار التي ترسل من خلال الزجاج الملون وقص الحجر والزجاج الذي يظهر أنه لا يتوم الا بمعجزة كل ذلك مما يمدت أثر

صناعة قابلة العطب ومخالفة للطبيعة واجتهاد قوى بلوغ السموات العلى . ومن هنا نشأ هذا رأى الشائع وهو ان الهندسة القوتية هي نتيجة سامية لعصر متألم تعذبه الحاجة الى الانهابة . ويقول بعض أهل هذه الصناعة ان هذه الهندسة على العكس تمتاز بنظامها المعقول وترتيبها المدقق في اطرافه واعطافه والتأثير العام الذى يحدثه تأثير حياة قوية راقية فيها البهجة والانس .

﴿ التوسع في الحريات السياسية وارتقاء الطبقات النازلة ﴾

تحرير المدن

• صكوك التحرير — معظم مدن فرنسا قري قديمة (١) يملكها احد السادة على ما استبان من اسمائها فان (فيل) (المدينة) او فيلا معناها المحلة حتى ان المدن التي يرتقي عهد تأسيسها الى الرومان قد سقطت في أيدي أساقفتها (مثل أمين ولان وبوفي) أو في يد الملك (مثل أورليان وباريز) أو في أيدي بعض الامراء (مثل انجر التي كانت للكونت دانجو وبوردو للدوق اكيين) فكان السيد أو وكيله يحكم كما يحكم سيد على سكانه فيكرههم على اداء المال ويقضي بينهم ويحكم عليهم وكثيرا ما يأخذ منهم بضائعهم أو يوقفهم بدون سبب لانه كان القاضي فيهم وحده . وكانت المدن في القرن العاشر حقيرة للغاية لا تماز عن القرى الا بأنها محاطة بسور .

غدا السكان في القرن الثانى عشر أكثر غنى فأخذوا يرغبون في النظام المرتب وأخذ بعضهم يشقه عصا الطاعة أو بادائه مبالغ باهظة يتوصلون الى ان ينالوا من سيدهم وعودا يسجلونها في صك فكان السيد يقول اتني أعلم الجميع اتني أمنح أهل مدينتي العادات الآتية وذلك بأن يدفعوا الى من الآن فصاعدا المبلغ الفلاني كل سنة في وقت كذا وأتعهد بأن لا أتقاضاهم شيأ غيره . وجرت العادة في هذا الصك أن يشفع بقائمة الغرامات مثل قولهم « من يضرب غيره بجمع كفه يؤدي الى ٣ سولات غرامة ومن يبلطه برجله يدفع خمسة واذا سال دمه سبعة ومن يستل مدية أو حساما بدون أن يضرب بها يؤدي ٦٠ سولا واذا ضرب عشر ليرات ومن ييضق على غيره يسمى

(١) من زها ٥٠٠ مدينة فرنسية تكاد تكون ثمانون منها من المدن الرومانية القديمة

أجزم ويدفع لي ٧ سولات الخ » ويشترط أحيانا أن لا يعد الدم الذي يجري من
الانف دما مسفوحا وان الاولاد في سن الثانية عشرة فانزلا اذا تضاربوا لا يغرمون
ومن شأن الصك أو العهد أن يحدد كل التحديد مبلغ الغرامة أى ما يحق للسيد أن يتقاضاه
عن كل خطأ يرتكب . واليك الصورة التي عرف بها أحد رؤساء الاديار في القرن
الثاني عشر واسمه كييردى نوجان هذا العهد الذي عقد بين المدينة وسيدها: « ان لفظة
مديرية من الالفاظ الجديدة المقبولة ومعناها ان العبيد يدفعون مرة واحدة في السنة
قطط الى سيدهم الذين المعتاد لقاء عبيدتهم له واذا ارتكبوا بعض الذنوب لا يؤدّون
سوى غرامة معينة من قبل أما سائر السخرات والتكاليف المختلفة التي تنقضي في
العادة من العبيد فانهم يدفعون منها بتاتا . وهذه اللامحة في تعيين الواجبات نحو سيدهم
تسمى عادات وحرية أو تحريرا . فقد عثرت جميع المدن أن تنال مثلها فبدأت الحركة
في أواخر القرن الحادى عشر في مدن الجنوب وفي الشق الآخر من فرنسا في اقليمى
فلاندر وبيكارديا حيث كان التجار الذين يقتنون من التجارة ومنها امتدت الى أوروبا
بأسرها بحيث أنه لم ينقض القرن الرابع عشر حتى لم يبق بلاد لم تحصل على حريتها
المديريات - كان في المدن عدة ضروب من السكان وأرباب الصناعات والعمالة
المرتبين بحسب حرفهم ومهنتهم وتجار وبيوت لها شيء من الغنى تعيش به بدون أن
تعمل ويدعى مجموعهم « البورجوا » أى سكان مدينة حصينة (بورج) وهم محافظون
على الاعتصام بطاعة ساداتهم ولكن بحسب الشروط المذكورة في عهدهم وهذه الشروط
تختلف اختلافا كثيرا . فلم يكن لهؤلاء السكان في معظم المدن من الحقوق الا أن يعينوا
أناسا منهم يسمونهم أهل المشمة وهؤلاء هم نصحاء وكيل السيد ويعينونه على جباية
الضرائب . أما في المدن التي نالت حظا أوفر (مثل بوفي وويل وديجون وناربون وتولوز)
فقد رخص لساكنها أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم وهناك كانت المديريات الحقيقية . جاء في
صك العهد الذي نالته مدينة بوفي ان كل واحد بعاون الآخر ولا يسمح بأن يؤخذ منه
شيء . وكان يكفي اذا اعتدى غريب على أحد سكان ليل أن ينادى بالبورجوازية
أى بالسكان المدينة فيهرع الى نجدته من كان حاضرا منهم ومن يتخلف يغرم والمديرية
مالقارس من الحقوق فلها أن تحارب أعداءها وتحرب بيوتهم . ولها طابع تحتم به عهودها

علامة على حقها كما ان لها خزانة توضع فيها مالها ومرقبها فيه جرس تدعوه سكان المدينة الى حمل السلاح (والمرقب هو كبرج الجرس عند سكان المدن) ومجلسا بلديا أى دار يجتمع فيها رجال المدينة يعنى مجلس الرجال الذين يحكمون المدينة .

رجال المدينة — يتألف رجال المدينة من اعضاء المديرية فيكونون تارة اربعة وأخرى اثني عشر وآونة مئة وأحيانا متساوين في العدد ويرأسهم رئيس في الاحايين فيدعون في الجنوب القناصل وفي الشمال شيوخ البساد او مشايخ الحرف او الحكام يختارون من اشراف المدينة وكثيرا ما ينتخب بعضهم بعضا او يتوارثون الحكم أباء عن جد ولم يفكر أحد قط في القرون الوسطى ان يطالب بالمساواة سواء كان ابن المدن أو من الاشراف . ولهذا الاشراف على السكان سلطة مطلقة فهم الذين يقضون في الدعاوى ويحكمون على المجرمين ويجبون الخراج ويحتفظون بمفاتيح الابواب فيمدون السلاسل في الشوارع وقت الخطر ويقرعون جرس المرقب وعلى صوته يهب السكان باجمعهم مدججين بأسلحتهم ويقفون طوع ارادة رؤسائهم وعابهم ان يحضروا أيضا الى المجلس الاعظم الى الساحة والى المقبرة أو الى الكنيسة للمفاوضة في المسائل العامة ولا سيما لاستماع قرارات رجال المدينة .

العدل المدني — ليس لامن المدينة ان يأخذ حتمه بسلاحه كما هو شأن الفارس بل عليه ان يعتمد الى رجال المدينة أو نائب السيد ليعيدوا اليه حتمه المهضوم وذلك في محكمة أبناء المدينة ويطبقوا في هذه المحكمة مفاصل العادة القديمة فلمبان أو قريب المصاب يقف موقف المدعي فيبين الجرم ويركع على الارض ويضع يده على ذخائر القديسين ويقسم بان ذلك الرجل ارتكب الجرم ويحلف المدعي عليه بالعكس كلمة كلمة وقد تقضي المحكمة أحيانا عليهما بان يتبارزا بالعصي ومن غلب منهما يحكم عليه . وإذا أتى المدعي بشهود يجب على كل منهم ان يقسم اليمين مرددا الكلمات ذاتها من ان المدعى عليه مجرم وإذا حلف شاهدان يحكم على المدعي عليه ومن الصعب إيجاد شاهدين كل حين اذ يطلب من الشاهد ان يكون قد رأى الجرم يرتكب بعيني رأسه .

يجرى كل ذلك علنا وأحيانا في العراء ولا يسجل شيء مما يقرر فبعد البراز أو الايمانات تصدر المحكمة حكمه قراؤه علنا وهو : « بحسب الحقيقة التي وعاهامشايع

لو كونه وأفرنيا) لكن على قلة .

ولقد نال من لم يحرمهم ساداتهم حريتهم وقضت العادة بأن كل عبد يستطيع أن يغادر قريته على شرط أن يخلع طاعة سيده والسيد يحتفظ بالأرض ويجب عليه أن يطلق سراح خادمه .

معاهد انكلترا في القرون الوسطى

السكسونيون - كان ينزل جنوبي بريطانيا العظمى منذ القرن السادس أناس من المحاربين الجرمانيين سكسونيين وانكليزيين الذين كانوا يأتون من سهل المانيا الشمالية الواسع المصب (المملوء بالضباب) القاحل . بلغوا هذه الأرض مسلحين عصابات مع أسراتهم وقد أبادوا الشعوب القديمة أو طرحوها إلى أطراف البلاد إلى جبال كورنوال القاحلة وبلاد الغال وكانوا من الجرمانيين الخالص شجر الشعور زرق العيون ضخام الاجسام مفتلي العضلات يبيض الوجوه عظاما في ما كلهم عظاما في حروبهم يقضون النهار على المائدة (في قصور ملوكهم أربع وجبات من الطعام كل يوم) فيزدردون إبقارا برمتها وبشربون شراب العسل ملء أو انهم كما يتعاطون شراب العسل المحمر الذي يسكر أقوى الرجال ومتى طغفحوا يتغنون بملاحم محاربهم يحبون الحروب حتى أنهم لما تنصروا أيضا كانوا يحبون أن يموتوا والأسلحة بأيديهم . قال الدوق دى نورثومبرلاند وهو على فراش المرض : اى عار علي يلحقني اذا أنا لم امت في الحروب التي خضت غمراتها وان اموت كما يموت البقر ضعوا لى درعي وسيفي وخوذتي وترسي وفأسي المذهبة حتى يموت المحارب العظيم وهو في حالة القتال

ولقد كانوا يقتلون سكسونيهم مع سكسونيهم والاقرباء بعضهم مع بعض . رأينا نوستي أخا آرولد في القرن الحادى عشر مغاضبا من نيل أخيه الخطوة من الملك ذاهبا إلى أحد القصور الملكية حيث كان أدب آرولد مأدبة ويقتل خدمة آرولد يقطع رؤوسهم ويترأعواهم ويجمعها في أواني الجمعة وشراب العسل ويبعث إلى الملك يقول له : اذا قصدت إلى قصر كنجيد فيه زادا طيبا من اللحم المملح . وبذلك بعد رجال تلك الاحقاب شجعانا مخلصين صادقين لا بائهم وساداتهم في لعب السيوف اشداء على الاعداء والاولياء . وقد ورد في القصيدة السكونية الوحيدة التي ابقتها الايام ان

يوسفوف البطل مات دفاعاً عن شعبه بإتقاده من تتين كان يحرس كنزا . . اليك منشأ
الامة الانكليزية : مقاتلة متوحشون سفاكون ولكنهم أهل مضاء واخلاص .
النورمانديون - كان السكاذينا فيون (الدانيمركيون والنوروجيون والسويديون)
في القرن التاسع كما كان الجرمايوني في القرن الرابع أهل غارة متوحشين وثنيين تقضي
عادتهم ان يرث ولد واحد من أبيه بيته وماله أما سائر الاولاد فينضمون عصابات
بعضهم الى بعض لينذهبوا في طلب الثروة . فالتقاتل البربري اذا لم يخلف له أهله
ما يعيش به يرى من دواعي شرفه أن ينال الغني بمجد الحسام ويعتبر العمل مخلاً بشرفه
فاذا لم يكن مالكا يسرق وينهب واذا جاور السكاذينا فيون البحر أصبحوا قرصانا
تبحر العصابة منهم في قوارب خفيفة ذات قلوعين بقيادة زعيم يختاره من بين ملوك
البحار الذين طالما فاقروا بأبائهم لم يناموا تحت سقف ولم يفرغوا قرن الجمعة بالقرب
من الدور المأهولة . تذهب تلك العصابات ذات اليمين وذات الشمال فتنها من ضربت
نحو الشمال تفتح ايسلاندا وغيروانلاندا واعتصمت أخرى في القلاع تهب السفن
وتستاق القلعان هكذا كان شأن رؤساء القرصان المشهورين في جومسبورغ الذين
أوغوا البحر البلطيسي وأزبدوه خلال قرنين وقد آثر أكثر تلك العصابات أن يقصد
الى البلاد التي حازت شطرا من المدينة مثل فرنسا والمانيا وإيطاليا وإسبانيا فغزوا فجأة
على الشواطئ وساروا في الأنهار ينهبون الدور ويهاجمون المدن اذا كانت حصينة
ويشتدون في معاملة السكينة لكراهة فهم بصفتهم وثنيين فكانوا يقولون اننا أقنأ لهم
قداسا من الزماح . وكانوا يدعون في أنكلترا الدانيمركيين وفي غيرها رجال الشمال
(النورمانديين) وقد قبلت العصابة الرئيسة فيهم أن تستوطن فرنسا وكانت الولاية
التي أصبحت نورمانديا خاملة لم تشتهر قط وبعد قرن ونصف عرفت في جميع أوروبا
فاقتبس النورمانديون في الحال الدين المسيحي واللغة الفرنسية (ولم يتكلم باللغة
الدانيمركية الا في بايو) وتألفوا مجتمعا وكان هذا المجتمع المؤلف من القرصان على
نظام وترتيب أكثر من غيره . فكان الدوق مطاع الكلمة فيهم يعدل بين قومه
كاهم وأقليم نورمانديا الوحيد في أقاليم فرنسا الذي حظرت فيه الحرب الخاصة وكان
العدل منظما عاما للجميع . ولقد رويت من هذا القيل قصة خاتم الذهب الذي ظل

معلقا على شجرة بدون أن يجرأ انسان أن يسرقه ومع هذا فقد احتفظ النورمانديون على كره الدهور بأجسامهم الضخمة الشقراء وبالمنشاء والاقدام على العمل الذي انتقل اليهم من أجدادهم المنتشرين .

الفتح النورماندى — زعم غيلوم دوق نورمانديا انه ورث من تاج انكلترا اعطاه البابا الحق في ذلك وبعث اليه بعلم مقدس فجمع جيشا قويا نحو ستين ألف مقشرد ليسترد ملكته وكلهم من الفرنسيس ووعدهم بأن يمنحهم اراضي وبعد ان كتبت لهم الغلبة اهل امر جنده وتركهم يعولون أنفسهم ويسكنون بيوت السكونيين الذين حاربوه ويحلون في املاكهم ويأخذون بالقوة ايامهم او وارثاتهم وهكذا يصبحون ارباب املاك وشرف (وهذا مادعي بفتح انكلترا) واصبح بعد ذلك معظم الاشراف والاحبار فرنسيسا ولم يقتبسوا اخلاق السكونيين اذ كانوا يحترقونهم بل ظلوا يشكلمون بالافرنسية ويعيشون عيش فرسان الفرنسيس فيعيشون بأولادهم الى نورمانديا ليعلموهم اللغة وقضوا بأن لا يتكلم في المدارس الا باللغة الافرنسية او اللاتينية وبقيت اللغة الافرنسية مدة ثلاثة قرون لسان الملك والبلاط والاشراف والقضاة وظلت الحال على هذا المنوال الى اواخر القرن الرابع عشر والقوم يؤلفون قصائد افرنسية وقد اعتذر شاعر يقصد القصيد باللغة الفرنسية عما ارتكب من غلطات اللسان بقوله عفوا عما بدر مني فاني انكليزى .

الملوكية — حكم الملوك الجدد مملكة انكلترا كما حكموا دوقية نورمانديا والنظام والترتيب رائدهم واخذوا يستبطون اسرار مملكتهم واختار الملك اناسا من الاشراف (البارونات) يطوفون البلاد طولا وعرضا يبحثون عن الاراضي ويسجلون جميع املاك انكلترا ميين لكل واحد كيف تسمى الدار ومن يملكها وكل كان تمت من الاراضي والعبيد والعامة والاحرار والمزارع والمروج والمراعي والمطاحن مع ايمانها كلها وهكذا الف كتاب Domesday-book وبفضل هذا الاحصاء العام استطاع ان يعرف مبلغ قوته ومن هو الشعب الذى يبذل له طاعته وذلك من الشروط الضرورية في الحكم على ما ترى ولم توفق غير نورمانديا وانكلترا ان يحققوا في القرون الوسطى ثم ذكر الملك ان كل انسان حر (لا كبار السادة من اتباعه بل جميع الفرسان) ويقسم ان يذود

عن حياض أرضه ويحمي شخصه من اعتداء العدو واستطاع الملك على هذه الحال أن يجمع في جيشه جميع فرسان انكلترا .

ولقد استخدم الملك في كل كوتيته التي قسمت المملكة بها أقساما عاملا وهو الفيكونت وأخذ من القرن الثاني عشر يبعث بقضاة جوالين وكان لدى الملك مجلس يبت في المسائل الكبرى وقضاة يقضون في المسائل التي لها علاقة بالملك (وتسمى هذه المحكمة مقعد الملك) وقضاة للنظر في حساباته ومداريدله (وكان هؤلاء هم قضاة الرقعة . سموا كذلك لأنهم كانوا يجتمعون حول منضدة مغطاة ببساط على صورة رقعة الشطرنج) وكان المستشارون والقضاة ونواب القواسة (فيكونت) ينصبون ويعزلون من قبل الملك ولهم الحق باسم مواليتهم أن يسيطروا على أعظم السادات وأن يطلبوهم إلى التقاضي وأن يحكموا عليهم . ويحظرون عليهم أن يتعاربوا بينهم كما كان شأن أشرف فرنسا وكل من كان يداهم عدوه في انكلترا بحجة أنه يريد أخذ حقه بيده يحاكم لأنه تقض سلام الملك ولم يكن في جميع أوروبا مملكة حازت مثل هذا النظام ولا ملك أطيع كل هذه الطاعة .

النبالة الانكليزية — قسمت انكلترا إلى محلات كبرى يقوم على زراعتها العامة والمزارعون وتسمى كل محلة بيتا أى منزلا وتتألف منها قرية وكان للسادات الذين يدعون بالافرنسية بارونات وبالانكليزية لوردات عدة بيوت مجموعة في سمط واحد وملك أعظم سادات انكلترا من خمسمائة إلى ستمائة محلة ودعوا بلقب (كومس كونت) (وبالانكليزية آرل) وكانت هذه البيوت منبثة في أنحاء انكلترا عامة ولم يكن للقموس كما في فرنسا ولاية هو الحاكم المتحكم فيها وحده بشهر حربها وإلى يرجع أمرها وكان قوامسة انكلترا من الغنى على جنب عظيم يسد أنفهم لم يكونوا ملوكا كما كان أمثالهم في فرنسا .

ولقد كثر عدد الفرسان بآدى بدء فكانوا في القرن الحادى عشر ستين ألف رجل شاكي السلاح وصاحب ملك ومن العادة أن يملك كل واحد بيتا وإذا حظروا عليهم الملك أن يتقاتلوا لم يلبثوا أن نسوا سريعا المرن على الحروب والذوق فيها وبينما كان الفرسان في فرنسا يحاربون مدفوعين بعامل الهوى والتلذذ كان فرسان

انكلترا منذ القرن الثاني عشر برون خدمة الجندية وطاعة الملك فيها ضربا من ضروب السخرة الشاقة ولذلك دعت الحال الى أن يجعل الملك أرباب الاملاك أن يتجهزوا بجهاز الفرسان ولما عرض عليهم أن يشتروا منه أنفسهم بدفع بدل مالي عن الخدمة قبل أكثرهم مقترحه والجلد أخذ منهم . وجاء زمن (١٢٧٨) أصدر الملك فيه أمره الى نواب قوامسته أن يكرهوا جميع الرجال الذين يتجاوز دخلهم العشرين جنبا انكليزيا على الدخول في غمار الفرسان . ولقب فارس على كثرة رغبة الناس فيه في فرنسا كان مزهودا فيه كل الزهد في انكلترا فيكتفى هنا أشرف الانكليز أن يفلوا من حملة السلاح (سلاحدار) يعيشون في الغلة متوفرين على حرث أراضيهم وما من فارق يميزهم عن صفار الاحرار في حين كان في فرنسا لمن يريد أن يكون شريفا أن يكون من نسل أب شريف أما في انكلترا فيرون شريفا كل من كان له دخل كاف ليعيش برفاهية فان المزارع الذي أغني يصبح شريفا . ولم يكن من فرق بين أشرف الحقول في القرن الخامس عشر وبين صفار أرباب الاملاك غير الثروة ولذا لم تصبح النبالة الانكليزية طبقة لا يدخلها غير أهلها مناقضة لسائر الطبقات كما في فرنسا

العهد العظيم — كان الملك في انكلترا قويا والاشراف ضعفاء وهو على يقين بأنه مامن رجل من رعاياه يستطيع أن يقاومه ولذلك يسي استعمال قوته فيضطر الاشراف ان يمدوه بالمال و يقتصب منهم اراضيهم و غلاتهم وماشيتهم و يسجنهم من دون ماسبب و بعدمهم بلا حكم . ولقد شوهد رجل يقتل لانه ضرب أيدا كان في غابة الملك و بقيت طريقة الحكم قرنا ونصفا على هذا المنوال وانتهى الامر بالبارونات ان بلغوا من الضعف مبلغا لم يستطيعوا معه ان يقاوموا متفردين بل اشتركوا ليقاوموا تلك القوة يدا واحدة فاجتمعوا فرصة كان فيها جان سان تر في حرب مع ملك فرنسا وحاجته ماسة الى معاضدتهم فهددوه سنة ١٢١٥ بأن يتخلوا عنه حتى اكروهه ان يقسم لهم أيمانا علنا بأن يحترم في المستقبل جميع ضروب الحرية أى حقوق الرجال الاحرار في مملكته . وكتب وعوده في عهد دخل في ٦٣ مادة ختمه الملك بطابعه وكان هذا هو الصك العظيم المرشد واليك المادتين الرئيسيتين منه : لا يوضع مال جديد على جميع

المملكة قبل ان يراجع مجلسها العام. لا يوقف رجل حر ولا يجبس ولا ينفي ولا يؤذى بوجه من الوجوه ولا تقبض ولا تأمر بالقبض على أى شخص الا بحكم على الاصول بين اقرانه وبحسب عادة البلاد. وهكذا تعهد الملك (أولا) ان يكف عن اموال الرعاياه ويعف عن أخذ حاجاتهم الا برضاهم (ثانيا) ان يحترم اشخاصهم بحيث لا يجازيهم الا بعد صدور حكم على الاصول.

على ان هذا التعهد لم يخرج عن حد الوعد وما من قوة تخطر على الملك ان ينقضها وكثيرا ما نقضه الا ان الملك عند جلوسه يجدد هذه الوعود (وقد جدد الصك العظيم ٣٣ مرة) . وهذا القسم ينبه الملك الجديد على الاقل الى واجبه وهذه الوعود مسجلة في عهد علني يعرفها كل انكليزي يذكر للرعاياه فيه ان لهم الحق ان لا يؤخذ مالهم ولا يوقفوا بحسب رغائب الملك. ومن هذين الفكرين نشأت رتيبان ابقيا عليهم حريتهم وهما مجلس النواب ومجلس المحكمين. فالعهد العظيم يقضي بان للملك حقوقا كما ان للامة حقوقا فهو أساس حريات انكلترا

اصل مجلس المحكمين — للملك في انكلترا الحق فقط ان يقضي في الجنايات ويحكم بالاعدام فهو يعين القضاة ويبيع بهم يطوفون مملكته . ففي كل سنة وفي كل بلد في اوقات معينة يأتي قاض من قبل الملك يؤلف باسمه مجلسا عاما يحضره الاحرار والاشراف وسادات الكورة ويسمونه مجلس قضاء الجنايات (وقد حفظ هذا الاسم وانتقل الى اللغة الافرنسية) فينظر القاضي في الدعاوى والجنايات التي ارتكبت في المملكة ويستعين باثني عشر رجلا شريفا ويحلفهم ان يقولوا بعدل ما يعرفونه ويبدأ بالتحقيق لكشف الغطاء عن الحقيقة ويسألهم اى المدعين محق في دعواه اذا كان المدعى عليه مجرما أو بريئا يحكم في مسائل الجنايات بموجب أجوبتهم بين الخصمين وكان يسمى هذا الضرب من الحكم التحقيق البلدى (١) والاثنا عشر رجلا من الفرسان الذين أخذت آراؤهم يسمون المحلفين او المحكمين وهكذا نشأ مجلس المحلفين (ولم ينظر اولا الا في القضايا المتعلقة بالاملاك ومنذ القرن الثالث عشر أصبح ينظر في

(١) أشبه مجلس المحلفين بآدى . بدء مجلس التفتيش الديني واسمها واحد وهو التفتيش واذا كان عمل المجلس مختلفا أصبح الاول مجلس حرية والآخر مجلس اضطهاد

المسائل الجنائية) وقد اخترع القضاة هذا المجلس لتسهيل عملهم فكان أعظم ضامن من ظلم القضاة لأنه يطلق الحكم على المتهم للوطنيين. وما مجلس المحلفين الا من الاوضاع التي يعجب بها في انكلترا وعنها أخذ جميع أمم أوروبا تقريبا
مجلس نواب انكلترا — كانت الاموال التي تنجي للملك من أملاكه والغرامات التي تنقضي باسمه تكفي لنفقة داره والادارة على رجاله واذا نشبت الحرب لا تعود تكفيه بناتنا فيكتب الى جميع أرباب الشأن من أمته ويستدعي الاساقفة والبارونات برسائل خاصة فيجتمعون لديه ويقررون بينهم الضريبة التي يرخص للملك أن يجيها وكانت هذه المشورة مقصورة زمنا على كبار الرجال (وهم الذين أخذوا من (جان) العبد العظيم) وفي أواخر القرن الثالث عشر سمح لكل مدينة وقصبة أن تبعث برجلين من أبنائها. ولكل مجلس مديرية أن يرسل فارسين يختارهما ولم يحن هؤلاء النواب أولا الاستماع ما يقرره كبار السادات ليحملوا خبره الى بلادهم ثم قبلوا بالدخول في المناقشة. وقدمى هذا المجلس الكبير بالبرلمان (مجلس الشورى) ولا يستدعيه الملك الا ليسأله تقريراً في جباية مال الا ان العادة جرت بأن البرلمان قبل أن يمنح الملك ما يريد يضطره الى سماع شكاويه وكثيرا ما يسأله اصلاح ادارته أو عزل عماله. وهذه طريقة في الحكم بالواسطة وحاول البرلمان مرات أن يجعل على الملك رقبا. الا ان هذا تخلص منهم ولم تثبت العادة في ذلك الا ان القوم اعتادوا الاستئناس بفكر ان الواجب على الملك كل سنة أن يجمع المجلس.

مضى زمن طويل والسادات الاساقفة يدعون وحدهم فقط ولذا كانوا يجلسون على افراد ويتألف منهم مجلس اللوردات (النبلاء) وفرسان الكونتيات وسكان المدن الذين تبعث بهم البلاد يؤلفون مجلسا جديدا وهو مجلس العموم (النواب). والى هذا التنظيم ترجع شؤون انكلترا فبدلاً من أن يبعد صغار الاشراف مع كبارهم لمقاومة الطبقة الوسطى (كما حدث في فرنسا) قد اتحدوا على العكس معا وظل اللوردات قرنين يتقودون مجلس النواب وفي خلال حرب الوردتين أفتي بعضهم ببعض بحيث انه لم يبق سنة ١٤٨٦ غداة تولت أسرة تودور زمام ملك انكلترا سوى ٢٥ لورداً وأحدث الملك لوردات من جديد الا ان الجدد منهم لم يحوزوا ما كان للقدماء من

الاعتبار . وأخذ مجلس النواب في القرن السادس عشر يدبر شؤونه بنفسه ويستمتع بماله من السلطة . هكذا نشأ مجلس نواب انكلترا الذي تكفل وحده بجعل الانكليز بآمن من الدفاع عن حقوقهم من الاستبداد الملكي فالبارلمان هو من الاوضاع المبكرة خاص بانكلترا حاد جميع الامم الممدنة أن يروا من الشرف احتذاء مثاله الامة الانكليزية — امتزج السكسونيون والنورمانديون كل الامتزاج في القرن الخامس عشر فتألفت منهما الامة الانكليزية بعد ان كانا شعبين متباينين وأصبحت لغتهم لغة واحدة جديدة وهي اللغة الانكليزية التي أصلها اللغة السكونية القديمة وهي لغة الشعب وتشبه لغة الاقاليم التي لا يزال ألمان الشمال يتكلمون بها الى اليوم . اما اللغة الافرنسية لغة الشرفاء فانها لم تأت الا بألفاظ عليية ومصطلحات في الحقوق والسياسة والفلسفة (يد أنها تهزعت في النطق بحيث لا تكاد تعرف) فلمتزجت اللغتان حتى بات من المتعذر تركيب جملة انكليزية بدون الرجوع الى الكلمات السكونية وما كانت الامة الانكليزية في أواخر القرن الخامس عشر أمة رجال البحر والتجارة كما هي اليوم ومامن شيء كان يدل على ما يكون مصيرها فقد كانت المدن صغيرة حقيرة الأربع منها فقط يزيد سكانها على عشرة آلاف نسمة حتى ان صوف الغنم الانكليزي لم يكن ينسج في انكلترا بل يبيعه الانكليز من حاككة فلاندر على نحو ما تقدم أستراليا اليوم صوفا للمعامل الانكليزية وما كان لهم بعد اسطول ولا ملاحون وهم عبارة عن فلاحين ومربي حيوانات ومع هذا فقد كان يلاحظ الناظر فيهم صفات تكون أمة عظمى ألا وهي النشاط وفكر الاستقلال وبطل القصائد الانكليزية روين هود زعيم اللصوص عاش في الغابة يقتل حراسها ورجال الشحنة ومع هذا كان يجود على فقراء الاكارين وقد صادف ذات يوم على جسر « جان » الصغير الذي لم يرض أن يدل له فأخذا يقتلان بالهوي حتي رثت عظامهما فسقط روين في الماء وهكذا أصبحت أحياء وأخذ الانكليز يحبون هذه المقاتلات التي يخرج منها المتقاتلان وقد كسرت ثناياهما وانتقلت خاصرتاها واليك المديح الوحيد الذي مدح به أمته أحد أشراف الانكليز السير جون فورتسكو : كثيرا ما شوهد في انكلترا ثلاثة أو أربعة من اللصوص يتقصون على سبعة أو ثمانية من أبناء الحشمة ويقتلونهم باجمهم

أما في فرنسا فلم يشاهد سوى سبعة أوثمانية من اللصوص ليس لهم من الجراءة إلا ما يستطيعون معه أن يسرقوا ثلاثة أو أربعة من أهل العرض ولذا كان المصلوبون من الرجال في انكلترا خلال سنة بدعوى اللصوصية والقتل أكثر مما كان في فرنسا محكوم عليهم منهم بمثل هذه الجرائم مدة سبع سنين . ولذا احتاج هؤلاء الانكليز حاجة لاتغالب الى الاستقلال . قال هذا المؤلف بعينه : ان الملك لا يستطيع ان يحكم على هذه الشعوب بغير القوانين التي اقروا هم عليها ولذلك لا يستطيع ان يجبي منهم ضرائب بدون رضاهم . ثم قابل بين رفاهية الفلاح الانكليزي وشقاء الفلاح الفرنسي فقال ان كل ساكن في هذه المملكة يتمتع بالثمرات التي تأتيه بها أرضه وماشيته يستعملها كما يشاء ومامن أحد يحول دونه ودون الاستمتاع بها اغتصابا ولا يطلب قط الى التقاضي الا امام القضاة العاديين وبحسب قانون البلاد ولذا أغني أهل هذه الديار فملكوا الذهب والفضة وجميع الحاجيات فتراهم لا يشربون ماء بقة اللهم الا ان يكون ذلك على سبيل التوبة ويطعمون لحوما وأسماكاً بكثرة وأقشنتهم من جيد الصوف فهم أغنياء بأثاثات بيوتهم وبأدوات الزراعة وفي كل مامن شأنه ان يجعل الحياة ودعة

مدن القرون الوسطى

الفتح الالمانى — نحلت الشعوب الجرمانية بهجرتها الى الغرب لتدخل الى الامبراطورية الرومانية عن بلاد الشرق لشعوب من عنصر آخر وهم السلافون (الصقالبة) حتى لقد غدت جميع البلاد الواقعة شرقي الالب ملكا لقبائل من السلافين وقد صادف القديس بونيفاس حتى على شواطئ الفولدا أناسا من السلافين هرؤا منه وسخروا وبقي ماوراء ذلك من مستنقعات شواطئ بحر البلطيق شعوبا قديمة (كالبروسيين والليثوانيين والفينلنديين) وهذه الشعوب وثنية محاربة ولكنها رديئة السلاح منقسمة الى قبائل لا قبل لها بالمقاومة فشرع الالمان في تنصيرهم واخضاعهم وأنشأ ملوك جرمانيا بلادا على التخوم وأطلقوا لقوا مستباحرة الحكم كما يشاؤون ومن هذه البلاد نشأت الثلاث الامارات الالمانية الرئيسة وهي امارة براندبورغ شمالي مملكة بروسيا وامارة ميسني وسط مملكة الساكس والامارة الشرقية في جنوبي مملكة النمسا وأنشأوا أيضا أسقفيات بعثت من قبلها بمرسلين

أخذ التنصير يجري ببطء (من القرن العاشر الى الرابع عشر) بطرق مختلفة فدان بالمسيحية أمراء الصقالبة في معظم البلاد على أيدي نسايتهم اللاتي تنصرن وحطموا الاصنام وأكرهوا رعاياهم على قبول الدين المسيحي وكان من يتناول اللحم في الصوم الكبير من أهل بولونيا تقطع ألسانه عقابا له . وبقي السكان في تلك البلاد صقالبة . وقال زعيمهم الوطني لقب دون أو ملك (١) ويعترف بأنه من عمال الامبراطور ولم تكن معظم هذه الامم على شيء من التعصب ولما جاء برنارد الاسباني الى بومرانيا لينال الشهادة أخذ في تحطيم الاصنام المقدسة فاكثرت الوثنيون بضربه واذا قد ظل على الدعوة الدينية أركبوه على قارب في نهر الاودر قائلين اذا كنت كثير الرغبة فيما أنت أخذ نفسك بسبيله فاذهب لبث دعوتك بين الاسماك والطيور وعلى العكس نمر بعض الشعوب في الشمال فان الاوسترين ذبحوا ملكا كبير يدان ينصرهم (١٠٦٦) وبعد ذلك قام الليفونيون وكان آتاهم الفرسان الالمان وعمدوهم مكرهين يسرعون في آثر الجيش يلقون بأنفسهم في نهر الدونا ليعتزلوا من العباد وعلى أولئك القوم أعلن الالمان حربا بأبادوهم فيها وقد فتح قوامسة الحدود بلاد الواند (التي سميت براند بورغ) وفتح فرسان الرهبة التوتينية بلاد بروسيا وفرنسا حملة السيوف ليفونيا وليستونيا فكانوا يحرقون القرى ويذبحون الرجال ويعودون بالنساء والأولاد وقد كثر بيع الاسرى السلافيين في بلاد ألمانيا كلها حتى أصبحت كلمة سلافي في الافرنسية والالمانية مرادفة لكلمة عبد وبقيت كذلك وقد باد الوانديون (ولم يبق منهم الا بقايا لجأوا الى مستنقعات سبري وعاد البروسيون والليفونيون رعايا وهكذا فتح العنصر الالمانى ثلاث ولايات جديدة براندبورغ وبروسيا وليفونيا .

الاستعمار الالمانى - كانت السهول العظمى من نهري الاودر والفستول منخفضة رطبة ومغطاة بغابات وسط البطائح فولاية براندبورغ (رملة ألمانيا) لم تكن غير صحراء كثيفة من الرمل ولا يزال الرمل الى اليوم عند ما يهب الريح يسد أبواب البيوت

(١) ملوك بوهيميا أو بولونيا قومس مورافيا ودوقات سيليزيا ومكلنبورغ وبومرانيا وليتوانيا و مثل ذلك وقع للمجر وهم شعب بربرى من أصل فنلندي فأنهم تنصروا وأصبح زعيمهم ملكا على هنغاريا

وعند شيخ البلد في أرض فلامن مفاتيح عين البلد يوزع كل صباح على السكان ما يحتاجون إليه من الماء فاستدعى أمراء الألمان والسلافيون من ألمانيا فلاحين وأرباب صنائع (١) يأتون أن أحبو الزرع هذه الرمال واستثمار الغابات وتأسيس مدن وأنشأ الألمان يهاجرون عن رضو خلال قرنين وأتت ألوف من الأسر الألمانية تتوطن في القفار الشاسعة من الشرق كما يذهب الناس في أمانا لاستيطان صحارى أميركا الشاسعة . فكان الأمير يبيع من أحد الملتزمين قطعة من غابة أو طريدة من الأرض تكفى لإنشاء قرية فيجلب الملتزم فلاحين ويوزع عليهم الأراضي حصصا حافظا لنفسه مالا وبجيبه في أوقات معينة فيكون حاكمهم الوارث إلا أن الفلاحين يبقون أحرارا لأنهم هم الذين أحبوا موات الأرض ويحفظون بعاداتهم الألمانية . وإذا أريد تأسيس مدينة يقيم لها الملتزم خنادق وحوايط في جهاتها الأربع ويؤسس فيها سوقا يحفظ لنفسه الحق أن يأخذ منها رسوما . جرت هذه الأعمال الكبرى علي مهل تحت طي الحفاء ولقد شغل مؤرخو تلك الأيام بذكر حروب الامبراطرة فلم يفكروا في أن يملوا بالصورة التي جرت في تأسيس ألوف من القرى ومئات من المدن في براندبورغ وبومرانيا وبروسيا وسيليزيا وبوهيميا . ونشأت في ايامه الأخرى من نهر الالب ألمانيا حديثة ألمانيا العاملين والجنود ألمانيا المساويين والبروسيين الذين آكل اليهم فيما بعد أمر جميع أمم ألمانيا القديمة

المدن الحرة — أسست المدن الرئيسة في ألمانيا حول قصر الملك (٢) أو حول بيت أسقف (٣) أو أمير فالملك أو الأسقف سيد المدينة والتجار مستأجروه لأن أرض المدينة ملكه وأرباب الصناعات عبيده يعملون له ولرجالهم وفرسانه وخدامه يحكمون على الصناع والسوق . وكما نما الشعب يتخلى السيد عن النظر في شؤون السكان حتي انتهت الحال أن لا يتناول سوى رسوم مقررة من الصناع أخلاف العبيد

{ ١ } وجاء أيضا هولنديون أنشأوا سدودا وجففوا البطائح على طول الالب والاورد

{ ٢ } مثل اكس لاشابل وفرنكفورت

{ ٣ } مثل كولون وستراسبورغ ومايانس وهيمبورغ وبريم وغيرها

فلم يعد في المدن سوى رجال أحرار فلمدن التي زاد نجاحها في القرن الثاني عشر هي من أملاك الاساقفة جاء في المثل الألماني « ما أحلى عيش المرء في ظل العكاز فيجمع الاسقف خدامه وأهم التجار في مجلس ليحكموا مدينته » ولم يكن هذا المجلس سوى مجلس للاسقف. ولما قوى نفوذ المدن في القرن الثالث عشر وطردت أساقفتها أصبح ذلك المجلس مجلس المدينة وغدت له سلطة أمير فكان يقضى ويشهر الحرب ويخاطب الامبراطور مباشرة وتسمى المدينة المدينة الحرة (١) لانها لم تخضع لسيده.

الصنائع — قسم الصناع الى طوائف صغيرة منذ كانوا عبيد الاسقف يعملون له ولرجالهم وكل طائفة تؤلف من صناع يحترفون حرفة واحدة ويخضعون لاحد خدام الاسقف وتسمى مهنة (أى خدمة) وزعيمها وكيل المدير أو شيخ الحرفة وذلك مثل مهنة الحدادين ومهنة السروجيين ومهنة الخياطين وغيرها ومن هنا اشتق اسم صنعة (٢) بالمعنى الذى نطلقه عليها وأصبح أرباب الصناعات أحرارا بالتدريج فبدلا من أن يصنعوا لاسادتهم وهم يعولونهم يعملون لأنسابهم ويبيعون ما يعملون في السوق وظلوا منظمين طوائف بحسب الحرف ويتألف من كل حرفة جماعة ولهم صندوقهم العام وعلمهم الذين يحولونهم في الحفلات ويرفعونه اذا خرجت المدينة لقتال ولهم حاميتهم المقدس (فالتجارين القديس يوسف والسكافين القديس كرين) ورؤساؤهم من أهل الصناعة نفسها (ويسمون في فرنسا شيوخ الحرف) ولهم نظاماتهم وبحسب عادة القرون الوسطى كانت عادات لاحاجة لتدوينها. وفي فرنسا لم تدون عادة صناعات باريز الا في أواسط القرن الثالث عشر وهذا القانون يبين الشروط التي بها يقبل المرء في هذه الصناعة. فيبدأ الولد بأن يكون خريجا على معلم في الصنعة فيعلمه المعلم صناعته

(١) أصبحت مدن الاساقفة المدن الحرة وأهمها الست المدن على الرين كولون، ماينس، ستراسبورغ، سبيير، ورس، بال والمدن التي كانت ملك الامبراطور تسمى المدن الحرة الامبراطورية وكانت مستقلة أيضا مثل نورمبرغ وأولم وأوغسبورغ (٢) أشبه تنظيم الصناعات في شمالى فرنسا تنظيمها في المدن الألمانية ولكنه أقل وطأة.

و يطعمه ويؤويه فالخريج يعمل لحسابه ويخضع له وللمعلم الحق أن يضربه وبعد بضع سنين يصبح الخريج رفيقا ولا يزال يعمل باسم معلمه وله أن يغادر معلمه ويذهب الى غيره فالرقعة هم أناس متنقلون وكثير منهم ينتقلون من مدينة الى أخرى بعرضون على أرباب الصناعات أن يشتغلوا معهم وبقيت هذه العادة في فرنسا جارية في تنقل صاحب الصنعة في أطراف البلاد . ومن كانوا على شيء من الغنى يفتحون حوانيت ويصبحون معلمين ولهؤلاء فقط الحق في أن يعطوا آراءهم في مجلس أهل الصناعة وتبين القوانين كيف يجب العمل ويحظر على العامل أن يشتغل في غير مكانه وبذلك يتيسر للجمهور أن يراقبه . ويحظر عليه أن يعمل على نور المصباح لئلا يعمل عملا رديئا ويمنع من استعمال مواد أخرى أو عمل أشياء تخالف القدر الذي أمر به القانون فالصياغ مثلا لا يطلون الذهب بالفضة وصناع التماثيل لا يستعملون الا اجناسا مخصوصة من الخشب واذا كان ثوب الجوخ أكثر أو أقل عرضا من القياس المقرر يصادر ويغرم صانعه ويحتفظ أهل الصنعة بشرفهم وشرفهم ان لا يبيعوا الا بضائع حسنة السرد والتقدير ولذا كان يراقب بعضهم بعضا أشد المراقبة ثم انهم يعضدون بعضهم بعضا امام الغرباء وامام سائر ارباب الحرف وليس لاحد في المدينة الحق ان يصنع سلعة او يبيعها الا معلمو الصناعة فيغرم كل رجل يفتح دكان خياط قبل ان يقبل في صناعة الخياطين وتعلق دكانه حق عمل شيء من الصناعة ويبيعها ملك خاص لأهل تلك الصناعة فلخياطون يمنعون باعة الخلق (الاسال) من بيع ثياب جديدة لان لهم وحدهم الحق في ذلك وما عمل باعة الخلق الا ان يبيعوا البسة عتيقة وصانعو اللحم يتقاضون على السروجيين لمنعهم من عمل اللحم وذلك لان صناعات القرون الوسطى كانت تحاذر من المنافسة كثيرا .

وأهم ارباب الحرف هم الخبازون والقصابون والحاكة والصباغون والبناءون والدباغون وصانعو الاسلحة والتجارون وعدد الصناعات متوقف على مكانة المدينة وليس في كثير من المدن الالمانية سوى ١٨ او ٢٠ صناعة وكان في باريز زهاء مئة حرفة وذلك لان عدة صناعات مختلفة يمكن جمعها في صناعة واحدة أو انه يتيسر تجزئة الصناعة الواحدة الى عدة حرف (في باريز مثلا ثلاث حرف لصنع السبعات)

الخزانة الزكية

أوجموعة كتب أحمد زكي باشا المصري

ليس في بلاد الاسلام بلدة كعصر ضاهتها بنهضتها وضارعتها برجالها ، ولا أرض كتب لها ان اقتبست من مدينة الغرب القدر الكافي الذي قام منذ نحو قرن بفضل عصابة فاضلة تشبعت بالحضارة الحديثة والحضارة القديمة فأتت من جلائل الاعمال ما أعجب به البعيد والقريب

واسم أحمد زكي باشا أمين سر الوزارة المصرية اليوم (سكرتير مجلس النظار) وأحد نواب مصر في هذا العصر يجب أن يثبت في القائمة الاولى من أسماء أولئك العاملين الاخيار . ربما يقول بعض الحاسدين (وهل خلا يوما ذو نعمة من حامد جاحد) - :
« ان عين الحب رمدا » ، فأتت باهذا تنوه بأصدقائك كثيرا في حين ينزلهم المنصفون منازلهم ، ويزنونهم بمعيار ترك لا تحسن استعماله . فلا تسبهوهم المحبة في نقد رجالهم وتقدير أعمالهم . « وجوابنا لمن يقول هذا ويدعي ان زكي باشا يعرف فقط كيف يظهر لقومه مسائل بحسبها : أن من حفظ حجة على من يحفظ ، ونحن قد نظرنا في أكثر أعماله العلمية منذ زهاء اثني عشرة سنة وأطلنا التأمل في كتبه تأليفا كانت أو ترجمة وفي مقالاته ومحاضراته (١) وحكمنا العقل ونبذنا الهوى ثم انقلبنا ونحن على مثل اليقين

(١) اليك بعض ما نعرفه من كتبه وآثاره المطبوعة :

الاربعة عشر يوما سعيداً في أيام عبد الرحمن الناصر (ترجمة عن الافرنسية)

موسوعات العلوم العربية وبحث على رسائل اخوان الصفا (بالعربي)

تقويم العرب قبل الاسلام (ترجمة عن الافرنسية)

الرق في الاسلام (بالربية والتركية)

الدنيا في باريس (رحلة الى معرض سنة ١٩٠٠)

السفر الى المؤتمر (رحلة في ارجاء أوربا سنة ١٨٩٢)

المعارف العمومية بالديار المصرية (عن اللغة افرنسية)

بحث عن اختراع البارود والمدافع وما قاله العرب في ذلك (بالفرنسية)

المجلد السابع

بأن أمثاله قلائل في مصر والشرق، وأنه عامل أمين في خدمة أمته، ولغته جذير أن يقرن في العلم والعمل مع نظرائه من أساتذة الغرب .

أمثال صديقنا هذا هم ولا جرم صفوة أجيال أتت على مصر وهي تنهض حتى وصلت بفضل حكومتها — لالتي تناهض أبناءها الراشدين بل تأخذ بأيديهم — إلى هذه الدرجة من الرقي ويمتاز على كثير من الخاصة بمضائه ونشاطه . عرفه بذلك قومه وهو يافع فشاب ، وهو اليوم كذلك في سن الكهولة . وقد وصل بمجده وعصاميته إلى المناصب العالية ، فلم تشغله الزخارف والبهارج عن السير بما أخذ النفس به من التعلم والتعليم منذ وعي ورشد . وأكبر دليل تقدمه على إثبات دعوانا هذه خزانة كتبه التي جمعت فأوعت من نفائس القدماء والمحدثين والشرقيين والغربيين ولا عجب فأختار المرء شاهد عقله قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلاً على الليب اختياره

بدأ زكي باشا بجمهورية مكتبة وهو تلميذ بمدرسة الحقوق الخديوية سنة ١٨٨٣ فكانت النقود التي يعطيها إياها أخوه محمود بك رشاد رئيس المحكمة الابتدائية

نقد المهددة النبوية (الموجودة صورها في دير الطور) (بالفرنسية)
بيان الوسائل الموصلة إلى أحياء الآداب العربية بديار مصر (بالفرنسية)
بحث على طريقة أحياء الفنون والمصناعات الإسلامية بديار مصر (بالفرنسية)
تقرير عن الكتب التي خلفها العرب بالاندلس (بالفرنسية والعربية)
بحث على الترجمة العربية لكتاب الفيلسوف إسكندر الذي حاول تجديد الوثنية وعبادة الأصنام (بالفرنسية)

بحث على القيوم وبلاده في أيام الأيوبيين (باللغة الفرنسية)
كلمة على محمد علي الكبير بمناسبة عيد المثلوي (فرنسوى وعربى)
سيرة نغرى باشا (بالعربى والأفريقسى والإنكليزى)
سيرة رياض باشا (مقالتان مع أحداهما ترجمتها بالفرنسية)
تسامح المسلمين مع أهل الأديان الأخرى (نشرها المقتبس)
الترقيم وعلاماته في اللغة العربية (بالعربى)
غرام العرب بالكتب (نشرها المقتبس)
قاموس الجغرافية القديمة (بالعربى والفرنسوى)
بحث على علاقات المصريين مع الأندلسيين « علمى أدبى تاريخى » (باللغة الفرنسية)

الاهلية بالقاهرة سابقا يشتري بها كتباً افريقية مما يستطيع التليذ أن يقتصده من نفقته أما الكتب الثمينة فكان أخوه يشتريها له فيضم اليها الكتب التي كان أخذها من المدارس جوائز ومن الاساتذة الفاحصين على سبيل التشجيع ومن ذلك تولد فيه الغرام بالكتب كما قال لنا عن نفسه

فمكتبته والحالة هذه جمعت انتخاباً واختياراً. وما برح يضم اليها من الكتب العربية والافريقية التي يمكن أن تفيد الانسان في مباحث عمومية ترجع الى ارتقاء الشرق ولما قرأ التواريخ وتحيل المجد الكبير الذي أثلله العرب في مدنيهم من غير أن يقف على تفاصيل ذلك حدثته نفسه بأن يجعل خزانة كتبه مرجعاً لمن يريد ارجاع المجد الى الشرق. ولذلك كان يقتني كل كتاب يصل اليه أو يقع تحت طاقته حتى تكون منها مجموعة ابتدائية فكانت أكبر مساعد للاستمرار على تكثيرها.

ولما دخل صاحب هذه الخزانة في خدمة الحكومة أخذ يخصص نصف راتبه

- السفر من الارض الى القمر (رواية لجول فرن اشترتها الجريدة)
 قبيل الاعدام (رواية لفسكتور هوجو اشترتها الجريدة)
 تحقيق جغرافى نارمى عن أهل الكهف (باللغة الفرنسية)
 دروس في الحضارة الاسلامية
 خطبة افتتاح الجامعة المصرية
 (فى الاسباب التي ارتقى بها الاسلام) (باللغتين العربية والفرنسية)
 تاريخ المشرق (فى الازمان القديمة) ترجمة عن الفرنسية
 بحث على سرايب الخلفاء الفاطميين بالقاهرة (باللغة الفرنسية)
 الطيران فى الاسلام (باللغة الفرنسية وترجمة الى انكليزية)
 محاضرة ارنجالية على التجارة فى الاسلام (نشرها المقتبس)
 محاضرة على الشام والحرية (نشرها المقتبس)
 بحث على مؤساسة العميان فى دول الاسلام (باللغة الفرنسية)
 مصر والجغرافيا (عن الفرنسية)
 العرب وأميركا (محاضرة طويلة)
 بقايا العرب الخالدة فى أوروبا (والدلائل اللغوية المؤيدة لذلك)
 وغير ذلك محاضرات ورسائل ومقالات وخطب كثيرة فى العلم والادب والصنائع والفنون.

الشهري لشترى الكتب والنصف الثاني لسائر حاجياته وكثيرا ما كان يزيد نصف
 المحصص لابتاع الكتب على نصف الضروريات وما برحت أكثر ديونه الى هذا العهد
 للوراقين والطباعين وباعى الكتب الجديدة والعتيقة في أوروبا ومصر. ولما سافر الى أوروبا
 أول مرة سنة ١٨٩٢ رجع معه غنية كبرى من الكتب وكلها افرنجية مما يلزم الشرق
 وبعد ذلك اتسعت أمانيه وأصبح همه ان يكون لحزنته مزية حتى غدت الآن
 تستحق ان تكون مرآة يرى فيها الطالب معارف الشرق وعلومه سواء كانت من
 نفثات الشرقيين العرب مسلمين أو غير مسلمين او من قرائح الافرنج. وأكثر كتب
 الافرنج عنده بالافرنسية ومنها ما كتب باللاتينية والالمانية والانكليزية
 والابطالية. وهو يحسن الافرنسية احسانه للعربية وله المام بالابطالية والانكليزية
 والاسبانية يستعين به في معرفة ما قد يحتاج اليه اثنا مباحثه. ولطالما سمع الخطبة العلمية
 في الجمعية الجغرافية الخديوية التي هو وكيلها باللغة الفرنسية فنقلها ارجالا الى العربية
 وبالعكس من العربية الى الافرنسية ولطالما فعل ذلك في مؤتمرات المستشرقين في
 أوروبا وهو ينوب عن الحكومة المصرية فيها. وهذا من جملة الاسباب التي كثرت
 بها صلاته مع علماء المشرقيات في الغرب حتى لا يكاد امام من أتمهم الاذا كره في
 الموضوع الذي يغلب عليه واستفاد منه.

وما زال صاحب هذه الحزنة يسعى وراء غايته كلما ذهب الى أوروبا في مهمة
 علمية فيعود بنقائس الكتب وغرائبها مما يرجع كله الى اظهار حضارة العرب وفضلهم
 حتى اجتمعت لديه الآن معظم الكتب العربية التي طبعها علماء الافرنج المستشرقين
 منذ القرن الخامس عشر للميلاد الى يوم الناس هذا. وحصل أيضا على مجموعة نادرة
 تحوى معظم التراجم أو المباحث التي خاض غمارها علماء الفرنجة ولا سيما ما يتعلق منها
 بالعرب والاسلام وقد زار سورية زيارة علمية عقيب انتشار الدستور العثماني وكان لا بناء
 دمشق حظ وافر من الاخذ من معارفه وانفع ناشئها بحديثه وخطبته الزانة وأعجب
 الخاصة من القوم ببيان وتحيققة العلمى وودوا لوزار سورية كل سنة واحد من أمثاله
 فتوخى اقامتها وتعليمها.

ذهب الى الاستانة مرات فوجد المجال فسيحا فيها هو بصده من احياء آثار

العرب ووقع على كتوز في مكاتبها قلدا وفق للاطلاع عليها أحد اقبله . وبمعاونة حسين حلمي باشا الصدر الاسبق تيسرت له المطالب وفتحت له الابواب بعد الحرية العثمانية واشتغل كما يشاء . ولما علم الجناب الخديوى بالامرعاونه على ما أخذ النفس به ولا عجب فالحكومات الرشيدة تعرف ان لا رونق لبلادها بدون علم . والعلم في الشرق لم يتم له سوق نافعة الا في ظل الملوك العاقلين فان تنشيطه من خصائص الجمعيات والامراء المفضلين . على نحو ما كان في العرب ولا يزال الى عهد قريب . فرأى صديقنا (وذلك مذهبه منذ القديم) ان الناسخ ماسخ لا يعول عليه في نقل الكتب النادرة فاستحسن النقل بالغوتوغراف ليكون لديه الاصل برمته . واستحضر من سفرته هذه زهاء مئة كتاب بالتصوير الشمسي وكلها نفائس كان يظن انها مفقودة . فلما رأت الحكومة المصرية هذه الهمة الفائقة وبحتت في هذا العمل المجيد كان أول مظاهر له الجناب الخديوى ورئيس الوزارة الحالي محمد باشا سعيد وأظفر معارف مصر أحمد حشمت باشا فاجبوا ان يكون الشرف كله لمصر لا لمصرى واحد، خصوصا ومصر اليوم هي المكلفة باحياء مجد العرب ووارثة تراثهم المأمونة عليه .

فرأى امام هذه العناية العالية ان يقدم هدية لامته وأهل بلده فأوقف مكتبته كلها ولا يقل ثمنها عن اثني عشر ألف جنيه بمكاتبها وخزائنها وقاطرها وكراسيها وكل ما يتعلق بها . فأكبر الجناب الخديوى هذه الخدمة فأصدر أمره بتخصيص قسم مستقل من دار الكتب الخديوية منعزلا عنها وخاصا باحمد زكي باشا يشتغل فيه طول حياته لنفع أمته وبلاده . والذي حدا الواقف على هذا العمل منذ الآن انه خشي أن يأتيه القدر المحتوم فجأة فتبدد كسبه أيدي سباء خصوصا وقد رأى العبرة بعينه في كتب على باشا مبارك والامير محمد ابراهيم والشيخ رضوان العفش وحسين باشا حسني وغيرها من المكاتب المصرية الخاصة التي اشترى بعض نفائسها وضماها الى خزائنه . فأوقف ما يملك منذ اليوم وأخرجه من داره قال : أخرجت المكتبة من ملكي حتى اذا جاءني أمر ربي ذهبت وليس في النفس حاجة . لان ثمرة عمري وهى الكتب موضوعه في كلاله الامة والحكومة فلا يعبث بها وارث ولا شبه وارث خصوصا وانى اعتقدان من يوقف شيئا على الخير و يؤجل نفاذه الى ما بعد موته لا يكون له الحق في طلب الثواب عند الله لانه تبرع

مما آل الى ورثته . واني لاحب تجديد العمل بالاستقالات الشريفة . فقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أى الصدقة أفضل قال : أن تصدق وأنت صحيح حر بص تأمل الفنى وتخشى الفقر ولا تأمل حتى اذا بلغت الحاقوم قلت : افلان كذا و افلان كذا وقد كان افلان (رواه البخارى في صحيحه)

لم يقف الواقف عند هذا الحد بل انه مابرح في كل يوم وفي كل شهر يشترى كتباً من أوروبا ويستحضر الاسفار الثمينة بالفتوغرافيا من الاستانة و يضم هذا وذاك الى مجموعته النفيسة ليكتفي الباحث بما فيها عن غيرها . ومن مميزات مكتبته انها تضم أهمات الكتب في كل فن وعلم ومطلب لان جامعها أراد أن يقتني بها عن الرجوع الى دار الكتب الخديوية . وفيها كتب كثيرة من المطبوعات في مصر والهند والعراق والشام وغيرها مما لا يكاد يوجد في دار الكتب الخديوية . دعى الكتب الكثيرة المحفوظة التي حوتها وقلت نظائرهما في دار الكتب الكبرى هذا مع حفظ النسبة والاعتراف الصحيح الصريح بأن دار الكتب الخديوية بالنسبة لهذه الخزانة أوسع مادة وأغزر قيمة ولكن خزائن الافراد قد يكون فيها من النواذر والوقاء بالحاجة مالا يسقط على مثله في الخزان العامة . وكيف يكون وجه للمفاخرة بين مجموعة جمعها رجل فرد بوسائله الذاتية وهو لم يرث عن أهله قرشاً واحداً وبين دار كتب هي مجمع ما بقى مما خلفه السلاطين والملوك والأمراء وأهل الثروة والكبرياء من أعيان المصريين . قال صديقنا في عظمة دار الكتب الخديوية : وناهلك بمكتبة فحجها اسماعيل بنفحاته ، وتولاها توفيق بعناياته ، ثم شملها عباس برعاياته ، ولا يمكن التنهيص على تعيين ما عنده من النفائس ولطالما شهد اعمال دار الكتب الخديوية أنفسهم على ما فهم من الذخائر والاعلاق ويكفي انك مهما درت في ديار مصر وقلبتها من أدناها الى أقصاها من دور الحكومة الرسمية ومن معاهد العلم العمومية حتى ولو ذهبت الى الدفترخانة المصرية لاتجد فيها آثراً لجريدة الوقائع المصرية التي كانت تصدر في أوائل عهدها أيام محمد علي . ولكنك اذا أتيت الخزانة الزكية تجد قسماً عظيماً منها وتقرأ فيها المعجب المطرب مما يدل على حالة البلاد في تلك الايام وانت لواتمسته بالملكاش في تضاعيف الكتب او بمساءلة الشيوخ لاتصل اليه بته هذا مثال واحد من امثلة كثيرة .

وتمتاز هذه الخزانة بأنها تجمع الكتاب النفيس بما تقاب عليه من الادوار والاطوار فتجده من مخطوطا بخط اليد وأولاً ومطبوعاً بولاق ثم نسخاً مطبوعة منه في الشرق والغرب ان لم تجد ترجمته الى اللغة الفرنسية في الغالب أو في الانكليزية أو الاسبانية أو اللاتينية أو الايطالية أو الالمانية، ثم المباحث التي كتبها جهابذة العلماء على الكتاب أو على المؤلف، بحيث ان الباحث يتيسر له وإحالة هذه أن يستوفي موضوعه بأسهل شيء وان يكمله بحسب حاجته ومقدار همته .

من الكتب النادرة المخطوطة عنده أربعة أجزاء لابن عساكر وأربعة أجزاء من مرآة الزمان لابن الجوزي ونسخة كاملة من تاريخ ابن خلدون عليها خط الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر ونسخة من الجزء الرابع من تاريخ الجبري وبطلان أنه يحتوي على فصول كثيرة اضطروا الى حذفها من النسخة التي طبعت في بولاق لان فيها ما فيها مما يختص بمحمد علي ولكنه لم يحقق ذلك بطريقة يقينة غير ان ضخامة الجزء تجعل الظن أقرب الى اليقين خصوصاً والصفحة من المخطوط تعادل ثلاث صفحات من المطبوع علي الأقل فتزيد بأقل تقدير ١٥٣ صفحة من المخطوط وإذا أضيف إليها ٤٠ صفحة من المخطوط ايضاً فيكون مجموع المطبوع في النهاية العظمى ومع التسامح الزائد معادلاً لآلاف صفحة من المخطوط وربما كان ما يبق بعد ذلك من المخطوط هو عبارة عن مجموع الفصول والجلل والعبارات التي استصوبوا حذفها من الاصل بعض الاعتبارات وذلك يعادل خمسين صفحة من نسخة بولاق المطبوعة سنة ١٢٩٧ هـ ومن الغريب ان صاحب النسخة المطبوعة نص على ان طبعته « بلا زيادة ولا تحسين ولا اعادة » ولكنه لم يفضل هذا الجمل ولم يقل لنا انه لم ينقص منها شيئاً .

وفيه مجموعة الكتب التي صدرت في بولاق وفي مطبعة اركان حرب الجهادية المصرية وفي مطبعة مدرسة الطب المصرية . ومما يجب الفات النظر اليه بهذه المناسبة ان محيي مصر محمد علي كان يأمر بأن يذكر في كل كتاب طبع علي عهده بأنه هو الثاني أو الثالث أو الرابع من نوعه . يعرف ذلك من النظر في كتب زكي باشا . فعنده قاموس للغة العربية . والطليانية . مطبوع في زمن محمد علي وهو ثاني كتاب ظهر في مطبعة بولاق الاميرية أما الكتاب الاول الذي طبع في بولاق فلا نعلمه وليس لهذا الكتاب أثر في الخزان

الأخرى ذلك عدا الكتب المطبوعة في ديار الشام والجزيرة (الموصل) وتونس والجزائر ومراكش وجزيرة مالطة وغيرها .

ومن مميزاتنا ان فيها مجموعة من المجلة الآسيوية الباريزية منذ أول عدد صدر منها سنة ١٨٣٢ الى الآن، ونسخة من لسان العرب على ورق كتان . وفيها أكبر مجموعة في الشرق لما كتب عن اللغة العربية مما هو من أبحاث علماء الشرق وعلماء الافرنج بحيث ان الحكومة المصرية تجد فيها كل ما يلزمها « في وضع معجم جامع للشوارد والاوابد والضوابط والروابط ومصطلحات أصحاب العلوم والصنائع والفنون على ضروبها وفروعها حتى تكون تلك الدواوين رجعا يعود اليه كل عربي في كل موضوع ومصطلح » (١) يوم تصح غزيمتها على ابراز هذا الاثر النفيس الخالد . ومن الكتب النفيسة كتاب في الفتوة في الاسلام وفيه ابواب في مكارم الاخلاق بحسب الطريقة الاسلامية وينتهي بفصل طويل في مجالس الفتوة ونظامها الداخلي وهو أشبه شيء بنظام الماسون واصطلاحاتهم ورموزهم وأعمالهم وقبول الأجانب في زميرتهم . وهو فصل مهم ولا يوجد هذا الكتاب في مجموعة أخرى فيما نعلم . ومنها كتاب تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد الذي تكلمنا عليه منذ بضع سنين في مجلة المتكطف وهي النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب .

ومن مميزاتنا كتب الطب المطبوعة في أوروبا بالعربية والافرنجية، ومنها ما يتعلق بالفلسفة والعلوم كالكيمياء والطبيعة والفلك والميكانيكا والآلات الروحانية (المفرقة من الهوا) وكتاب ابن سينا ومنها القانون وجزء من الشفاء مطبوع في مدينة رومية سنة ١٥٩٣ بعد اختراع الطبع بمدة قليلة و يتلوه كتاب النجاة في المنطق .

ومن مخطوطات هذه الخزانة قطعة من تاريخ الدولة الاموية من أول خلافة الوليد ابن عبد الملك الى انقراض الدولة العباسية وهي على رأى صاحب الخزانة أوفى تاريخ معروف لهادين الدولتين ويظهر ان المؤلف كتب كتابه في مصر عقب انقراض الدولة العباسية مباشرة لانه يشير الى شيخه وأستاذه ابن الأنجب السامي . ومنها تاريخ محمد علي باشا مؤسس الاسرة الحديوية للشيخ خليل بن احمد الرجبي بعثه علي وضعه الشيخ محمد

(١) انظر المقالة التي كتبها المحقق سائسا على هذه الامنية في صفحة ٤٥٩ من المقتبس السابع

العروسي يحتوى على حالة مصر قبل الفرنسيين وحالة أمرائها وأخلاق محمد على وعلى اخراجه من كان بمصر من المفسدين من المالك وغيرهم وعلى تعميره لارض مصر واحياء قطرها بالزرع وعلى بعض آثاره من الابنية والعمارات وعلى ذكر احياء دولة الكتبة المسلمين وعلى ما أنشأه من السفن وعلى ذكر العساكر الجهادية ووجوب اتخاذهم بالادلة الشرعية والسؤال عن القوانين الموسومة للعساكر الجهادية هل هي مطابقة بعد للشرع الشريف أم لا

ومن مخطوطاتها الدر الثمين في تاريخ اليمن في أيام الامام محمد بن عايط ، وكتاب روح الروح فيما حدث بعد المئمة التاسعة من القن والفتوح في اليمن . وفي الخزانة كتب منقولة بالفتوغرافيا وهي من الامهات أو النوادر ولا بأس بأن تشير الى بعض ما حوته خزائنا الزكية من الكتب المأخوذة بالتصوير الشمسي فمنها تاريخ السودان في أيام محمد على وكتاب المجازاة والمجازاة للصفدى ونسخان من الهدايا والتحف للخالدين ومختصر ذخيرة ابن بسم للاسعد بن ممتي والتذكار الجامع لمن ملك طرابلس ومن كان بها من الاخيار وهو التاريخ الوحيد فيما تعلم الذى ألف في هذه المملكة على انفراد . والامتناع والمؤانسة لابي حيان التوحيدى (في ثلاثة اجزاء) والبصائر الذخائر له أيضا (في خمسة اجزاء) ومقدمة ابن خلدون وعليها تصحيح المؤلف وخطه . والشعور بالعمور وهو قاموس لاعلام المشاهير الذين أصيبوا بفقد احدى أعينهم ، وصحيح الاعشى نسخة كاملة سبع مجلدات فرغ المؤلف منها سنة ٨١٤ وهذه النسخة مكتوبة سنة ٨١٧ وهي أجود من النسخة المبثورة الموجودة في دار الكتب الخديوية ورايات المبرزين واعلام المميزين لابن سعيد الاندلسي .

ومن المخطوطات رحلة الشيخ محمد بشير البرتلي من بلاد نوات الى الحرمين وصف فيها الصحارى والبلاد في القرن الثاني عشر للهجرة وقطعة منقولة بالفتوغرافيا من كشف البيان عن وصف الحيوان ، وهو موسوعات ألفها فتح الله السكندرى الذى كان في أيام السلطان الاشرف برسباى وهي عبارة عن ستين جزءا موجودة بخط المؤلف في المكتبة السلجمانية وفي مكتبة طوبقوب بالاستانة . وفي هذه القطعة معلومات وافية غريبة عن المؤلف والمهم ذكر قائمة الكتب التي نقل عنها وهي تربو على الثلاثة

آلاف كتاب . من المخطوطات من عيون التواريخ لابن شاكر جزآن (ومنه عدة أجزاء في المكتبة الظاهرية بدمشق وكتاب ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه وارجوزة الصفدى في جميع الذين حكموا دمشق الشام الى عصره ورسالة اخرى في ذات الموضوع على ترتيب حروف الهجاء وفي المكتبة الاحمدية في حلب) ومن المنقول بالتوغرافيا سير اعلام النبلاء للذهبي أصله في أربعة عشر جزءاً ضخمة وكان موجوداً في القاهرة وفيها فقد الجزء الاول والثاني ثم انتقلت النسخة كما قال زكي باشا في جملة ما انتقل من كتب مصر الى القسطنطينية وهناك ضاع الجزء الاخير فبقي من الكتاب ثلاثة عشر جزءاً . ومن المخطوطات كتاب الجني الداني في حروف المعاني لبدر الدين ابن أم القاسم ومنها التحفة الوردية للعلامة عبد القادر البغدادى وهو كتاب مفيد جداً بالادب وحسبنا في التعريف به نسبه لمؤلفه . وألطف ما فيه ما كتبه المؤلف بخطه في آخره :

« قالها مؤلفها وصحح ما تيسر منها فإن كاتبها لا يكاد يكتب كلمة صحيحة لا بآرك الله فيه فإنه أتعبني في تصحيحها من غير نسخة فإن الأصل كان عنده ليكتب منه وما تيسر بعد تمام الكتابة مقابلة ما كتبه بالأصل فإن مستكتب هذه النسخة كان مسافراً نفع الله بها من كتبت لاجله وهو الوزير الجليل والصدر النبيل عبده باشا الشير بنشأحي باشا لطف الله به في الدارين آمين . قاله بقمه وكتبه بقلمه الفقير الى الله تعالى محبة عبد القادر البغدادى لطف الله به وبأسلافه وبجميع المسلمين . وتم ذلك في الليلة الرابعة عشرة من شهر رمضان من شهر سنة ١٠٨٧ . وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على عبده وخليفه محمد وآله وصحبه وسلم الى يوم الدين . »

وهذه العبارة تؤيد مذهب زكي باشا من ان الناسخ ماسخ .

ومن أهم المخطوطات في هذه المكتبة مجموعة كاملة للمؤلفات العربية الخاصة بالكتابات السرية المعروفة الآن بالشفرة وكيفيتها عند العرب واستخراجها . قال صاحب هذه الخزانة وكانت العرب تسمى هذا الفن بفن الترجمة وحل التراجم وحل المترجم والذي يشتغل بذلك المترجم (بكسر الجيم) ولذلك ترى المؤلفين الاقدمين مثل ابن النديم وغيره عند ما يتكلمون على الكتب المنقولة عن اليونانية والفارسية يستعملون

في الغالب لفظة النقل ولا يستعملون لفظة المترجم ولا الترجمة الانادرا . ولما كان هذا العلم خفيا خاصا بأسرار الحكومات الاسلامية فكان مضمونا به ولا يصل الجمهور اليه فلذلك جهل كثير من الناس معنى هذه الكلمة حتى ان كتب اللغة لاتشير اليها بل ان شراح المقامات (عند ما أشار الحاريري اليها في احدى مقاماته) جهلوا ولم يفسروها وعملوا فيها بل ان صاحب اسان العرب نفسه لم يذكرها كان عارفا تمام المعرفة بهذا الفن وكان هذا الفن مستعملا في الدول الاسلامية من أيام المأمون الى الحروب الصليبية فأخذوه الافرنج عن المسلمين الذين أخذوا مبادئه عن اليونانيين ثم رده الافرنج اليها ولما علمنا بعارف أهلنا اخترناه باسمه الجديد عند الافرنج وهو الشفرة التي نقلها الافرنج عن كلمة صفر العربية واستعملوها بمعنى الأرقام لانهم استخدموا الأرقام بدلا من الحروف في الكتابات السرية ثم اتنا جعلنا بدل الشفر لفظة الجفر لتقارب المخرجين خصوصا وان الجفر كان يستعمل في الانغاز بالحوادث المستقبلية فصار من هناك شبه علاقة جعلت العامة تعتقد ان الجفرة المستعملة الآن هي مأخوذة من لفظة جفر المستعملة في كتابة الملاحم . والصواب غير ذلك .

ويضيق بنا المجال اذا أردنا الاضافة أكثر من ذلك في وصف هذه الخزانة . ومما فيها كثير من المصورات (الخرائط) المعمولة في أيام العباسيين وبعدهم وخريطة افرنجية صنع العلامة فلانماريون الفلكي عن السماء وما فيها من الكواكب عليها أسماء الكواكب بالعربي والفرنساوي وضعها زكي باشا . ومنها مجموعة الفرمانات الصادرة باللغة التركية بخصوص الحكومة المصرية من أول محمد علي الى آخر اسمعيل . ومجموعة أخرى من المصورات لبلاد الاناضول المشهورة مرسومة مدنها بالالوان تربها ظاهرة مجسمة لواحد من أبواب الفنون المسلمين . وفيها صورة جميلة للسultan صلاح الدين الايوبي

ومن مزايها هذه المكتبة ان صاحبها مثل صديقنا احمد بك تيمور يعرف مافي خزانته ، ليس جماعة للكتب فقط . وعلي بعضها شروح وحواش وورق ومفكرات . وتجد فيها الكتب المطبوعة النفيسة أكثر من المخطوطة والعربية أكثر من الافرنجية والخزانة التيمورية أغنى بمخطوطاتها وأحسن بتنسيقها كما ان الخزانة الزكية أغنى

بمطبوعاتها النادرة . ولكل منها مزية تختلف باختلاف محيط صاحبها وأسبابه ومعارفه .
ومن غريب الاتفاق اننا كنا هذه المرة أيضا مع أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري يوم
زيارة المكتبة الزكية زيارة طويلة لتستلي من صاحبها البجامة بعض ما لقنناه عنه آنفا .
على اننا نعرف خزانته منذ ثمانين سنين وكان حفظه الله رخص لنا بالاختلاف اليها يوم
كانت في داره بمابدين أى وقت أحينا ، كما فعل الآن ، وأن نأخذ منها ما نشاء . ونرجعه
منى نشاء . وقد فعل هذه المرة كذلك ولم يخص بهذه النعمة الادبية الا افرادا
معلودين من أصحابه . وأنا لفرجو في الحتام أن تطول أيام أحمد زكى باشا لينفع مصر
وكل قطر يعلمه ويعلم هذا الشرق الغربى بهيمته وبزيد في نهوضنا العلمى والادبى
بشاركه الغريين ومنافسهم فى احيا آثار سلفنا

« القائمة الانتقادية »

« بقية ما فى الجزء الماضى »

أشرعت بابا الى الطريق وشرعت لكم فى الدين شريعة . أشب الله قرنه والرجل
شب ولده وشب الغلام شب شبابا والنار والحرب شبوبا وشبا . اشتهرنا فى المكان
أقنا فيه شهرا وشهر سيفه وأمره شهرا وشهرة . أشكته لجأته الى أن يشكو واذا نزلت
عن شكايته وشكوته شكايه . أشجاه أغصه وسجاء حزنه . أشكل على الامر وشكلت
الكتاب والظاهر فهمما شكولا . أسررت الشئ ، أظهرته ، وسررت الملح والاقط نشرته
ليجف ، أشاف على كذا وأشفي أشرف ، وشفث كذا أشوفه جلوته ، أشخص الرامى
جاز سهم الغرض ، وبفلان اغتابه وشخص لسفزه شخصا ويصره فتح عينه . اشم مر
رافعا رأسه وشممت الشئ ، شما وشميا ، أشاد بذكره رفقه وبالشئ ، عرفه ، وشاده
يشيده شيذا أى جصصه بالشيد وهو الجص ، أشعب الرجل مات أو فارق فراقا لا يرجع
وشعب كذا الأمر ينفه وفرق بينه ومنه سمي المنون شعوبا ، أصحت السماء وصحا
السكران يصحو صحووا أصعد فى الارض وصعد فى الجبل قال أبو زيد ولم يعرفوا صعد

أضاف الرجل ولد له بعد ما أسن، وصاف السهم عن الهدف عدل . أضاع الرجل كثير ضياعه وضاع الشيء بضيع ضيعة وضياعا وضاعه كذا بضوعه حركه ومنه تضوع الطيب تحركت ريحه ، أضرب عن الأمر وفي بيته أقام وضرب في الأرض خرج فيها باغيا للرزق، أضجوا صاحوا وجلبوا وضجوا جزعوا، أطل عليه أشرف، وظل دمه أبطله أطرق الرجل سكت فلم يتكلم ، وأطرق الأبل تبع بعضها بعضا وطرق طروقا آتى ليلا . أطلي الرجل مالت عنقه ، وظليت الأبل من الجرب ، وهو بظليه أى بمرضه، أطاع له المرتع أى اتسع وأمره اطاعة لا غير، وطاع له انتقاد ، أطعم النخل خرج طعمه وأطلمت من فوق الجبل وأطلمت ، أطاف به ألم ، وطاف حوله بطوف طوفا وطاف طوفا ، وأطاف بطاف أطيافا إذا ذهب إلى الغائط وطاف الخيال يطيف طيفا ، أعجمت الكتاب وعجمت النوى عضضته ، أعرضت عن الشيء وعرضت العود على الأنا . والسيف على الأنا . والسيف على فخذه والجند وقيل قد فاته العرض كقولك القبض والنقض والحبط والرفض لما يقبض ويرفض وينقض ، أعته من العون وعته أصبته بعين فهو معيون أعمرته كذا وعمرته صيرته أعور، أعلق الخابل وقع في جباهه الصيد ، أعيت في المشي وعيت في المنطق فانا عبي وعى . أغلقت الباب ولا تغلق وأغفيت ولا تغف غفيت أغث الحديث فسد ، وغاث الشاة هزلت . أغل الجازر ترك في الأهاب لحا وأغل وغل خان وغل صدره غلا وأغل صار له غلة . أغبر في طلب الحاجة جد فيها وأثار الغبار وغبر بقى والغبر بقية اللبن في الضرع وبقية الليل . أفلق في كذا جاء بفلق أى عجب وفي العلم برع وفاق الهامة والصخرة أى شقها . أفرى الذئب بطن الشاة إذا شقه، وهو يفرى الفرى إذا جاء بالعجب، أفرق من غلته وفرق شعره وبين الحق والباطل، أقلت صرت في فلاة وقلت رأسه وشعره وقلت بالسيف ، أفتق قرن الشمس أصاب فتقا فبدأ منه وفتق الطيب والناس من عرفات دفعوا أفرضت وجبت فيها الفريضة ، أفصح الأعجمى وفصح اللحان . أقلت الجند من مبعضهم فتقلوا قفلا وقفولا وخيل قواقل ضواقر . أقرن له أطافه، والرمع رفعه، وقرن بعيرين في جبل وبين الحج والعمرة أقلت عنه الحى وهو في قلع من حماء، وأقلع عما كان عليه ، وقلعت الشيء من أصله، أقبرته صيرت له قبرا يدفن به ، وقبرته دفنته . أقصيته أبعدته وقصوت البعير فهو مقصو ، قطعت طرف أذنه وجعل

مقصو ومقصي ولا تنقل أقصى أقبست الرجل علما وقبسته نارا جثته بها فان طلبها هو
 قيل أقبسته أقم الفحل الابل لقبها جميعا، وقم اليك كنسه، أقذته وأسقته أعطيته خيلا
 يقودها ويسوقها، أقرأت المرأة اذا طهرت واذا حاضت. أقات على الشيء أقدر عليه
 وقات أهله قونا والقوت الاسم وما عنده قيت ليلة وقيتها، أكرى الكرى ظهره وأخذ
 كروته (كذا) وأكرى نقص وقيل زاد والحديث اطاله والشيء اخره وقال فقيه
 العرب من سره النساء ولانسا فليكر العشاء وليا كركر الغذاء وليخفف الرداء وليقل
 غشيان انسا، وكروت بالكرة كروا ضربت بها أكب على العمل وكب الاناء وكبه
 الله لوجهه. الاح من ذلك اشفق وبحقي ذهب به ولاح البرق والسيف يلوح لوحا. الوى
 به ذهب به والقوم بلغوا الرجل والبقل صار لوبا اى بعضه يابسا وبعضه فيه ندوة ولوى
 يده ليا ولواه بالدين مطلقه ليانا. امقر الشيء صار مرا والمقر الصبر ومقر عنقادها. الاحقاق
 ان يهلك المال كحاق الهلال وماحق الصيف شدة حره ومحقت الشيء امتعت عنه
 استغثت وقول الراعي

خليطين من شعيعين شتى تجاورا قدما وكأنا بالتفرق أمتعا

قال الاصمعي ليس أحد يفارق صاحبه الا أمتعه بشيء يذكره فكان ما أمتع
 هذان تفرقا ومتع النهار ارتفع ونبذ مانع شديد الحرارة وجبل مانع جيد أنصت الريح
 نزع فصله أنصته ركت عليه النصل ومنصل الاسنة (رجب) لانهم كانوا ينزعون
 الاسنة فيه فلا يتجاوزون. أنهدت الحوض أى ملأته ونحوض نهدان ونهدت للعدو
 أى نهضت له. أنصف فلان صاحبه وقد أعطاه النصفة ونصف النهار ينصف والازار
 ساقه بلغ نصفها والقوم نصافة خدمهم والناسف الخادم أنصيت البعير عزلتها فهو نصو
 ونصيت السيف وأنصيته سلته ونصا بوبه القاه والحضاب نصل. أوعيت المتاع في
 الوعاء ووعيت العلم حفظته أوهمت مائة في الحساب أسقطتها ومن صلاتي ركعة أوغل
 في البلاد تباعد ووجل في القوم دخل فيهم وهم يشربون من غير إن دعي ورجل واغل
 ووجل وفي الطعام وارش أو نزعه أغراه ووزعه كفه وقيل (لا بد للسلطان من وزعة)
 أى كفه. أواع بكذا والاسم الولوع وولع يلع ولعا وولعانا كذب. أهجد البعير التي
 جرائه على الارض وهجد هجودا نام ليلا

باب ما يضعه العامة في غير موضعه

أطعمنا خبز ملة وخبزاً مليلاً ولا تقل أطعمنا ملة فأنها الرماد الحار، ماء اغمر ومالشد غموره ورجل غمر الخلق وأسعه وفي صدره غمر أى غل ورجل غمر من قوم اغمار تبين فيهم الغارة والغمر القدح وفي فلان ميل (بالسكون) وفي الحائط ميل (بالتحريك) قحط الناس وقحط المطر فاظ الميت يفيض فيظا ويفوظ فوظا ولا تقل فاظت نفسه وفاض الأناء يفيض فيضا . عرج صار اعرج وعرج عليه أقام . لاح سبيل بدا والاح تلاً . تسع بالمعدي لأن تراه منسوب الى تصغير معد فاجتمع التشديدان فخفف الغل في العطش وفيما يقيد به والغل العداوة يقال خرجنا تنزه اذا خرجنا الى البساتين وأما التنزه التباعد عن الماء والريف فلان ينزهة عن الماء والشراب وفلان نزيه بعيد عن اللوم وتنزهوا بحرمكم عن القوم اعدوها عنهم وعزت اليك بكذا واوعزت . صدقة المرأة وصادقها . ماء ملح وسعت مليح ومملوح ولا تقل مالح افعل كذا وخلان ذم أى لا تذم ولا يقال ذنب ضربة لازم وقيل لازب ولا تب جاء باضارة من كتب واضامة وللجمع اضابير واضاميم . شئ ثقيل ورزبن وامرأة ثقال رزان الفحال لا يقال الاقي النخل جمعه نخاحيل وعينان الكتاب وعنوانه وعلوانه وقد عنونته وعلونته مهلا يقال للواحد والجمع والمذكر والمؤنث على لفظ واحد ويقول لا يغني عنك مهل وهلم كذلك ومنهم من يقول هلم وهلموا وهلمي وهلمي تقول إيه اذا استزذته وإيها اذا كففته وويها اذا اغرته وواها اذا تعجبت منه وتقول صه ومه اذا سكت عليه وأذا وصلت قلت صه ومه بافلان واذا قيل هل لك في كذا قلت لي فيه او مالى فيه ولا تقل ان لى فيه هلا ومعنى ذلك هل لك فيه حاجة تحذف الحاجة من السؤال والجواب ان اخطئت فخطئني وان أصبت فصوبني وان أسأت فسوء علي أى قل لى أسأت وسأت عليه ما صنع أى قبحته واخطأ وخطئ . لغتان يقال (مع الخواطي . سهم صائب) لمن يخطئ كثيراً ويصيب مرة ورجل أعسر يسر ولا تقل أيسر ويأمن بأصحابك وشايم أى خذ بهم بمنة وشامة تكلم فلان فما أسقط حرفاً وما أسقط بحرف . كقولك أدخلته ودخلت به وغفلت عنه وأغفلته وجن عليه الليل واجنه وقيل جنه جاء بالضيق (الشمس) والريح ولا تقل الضيح النقد عند الحافرة أى عند أول كلمة وقال تعالى

أنا لمرودون في الحافرة) اى في أول امرنا فلان يسئل ولا تقل يتصدق في معناه فلان
 وفلانة كناية عن الأدميين والفلان والفلانة عن البهائم . غابت الموازين عيارا ولا
 تقل غيرتها وغيرته بذنبه . عاد الظلم صاح يعار عراروا ولا تقل عر . كأننا متهاجرين
 فاصبحا يتكلمان ولا تقل يتكلمان أخوه بلبان أمه ولا تقل بلبن أمه وهذه عصا وعجوز
 واثان وعرس وفهر . وقب لواحد الاقتاب أى الامعاء وقدم واضحى كلها مؤنات
 لا يدخلهن الماء وسميت الاضحى بجمع اضحاة اى الشاة التى يضحى بها يقال اضحاة
 وأضحى واضحية والجمع اضاحي وضحية وللجميع ضحايا
 ومما تضعه العامة في غير موضعه

تقول للمعلم أرى وأما الأرى والاخية محبس الدابة وللجميع الاوارى والاواخي
 تأدبت بالمكان تحبست به وارت القدر لصق بأسفلها شيء من الاحتراق كبر حتى
 صار كأنه قفه اى الشجرة البالية لا يقبل منه صرف ولا عدل الصرف الحيلة من قولك
 انه يتصرف يقال كذب من دب ودرج أى اكذب الاحياء والاموات يقال درج
 القوم اذا اقرضوا هونسيج وحده لمن لا شبه له وأصله ان الثوب الكريم لا ينسج على منواله
 غيره احق ما يتوجه اى ما يحسن ان يأتي الغائط وأصل الغائط المطبخ من الارض
 وكان من يقضي حاجته الى الغائط قليل ذلك لمن قضى حاجته التيم أصله القصد
 وصار اسما لمسح . الوجه واليدين بالتراب المسافة المغاظة أصلها من السوفالشم وكان
 الدليل اذا ضل بفلاة شم التراب فعلم انه على الطريق وكثر استعماله فصاروا يسمون
 البعد المسافة . ليك وسعديك تأويله البابا بعد الباب اى لزوما لطاعتك يقال الب
 بالمكان اقام به مرحبا وأهلا اى آتيت سعة وأهلا فلا تستوحش حياك الله وياك
 حياك ملكك والتحية الملك وياك اعتمدك بالخبر يقال اعراي جلف أصله من اجلاف
 الشاة وهي الشاة المسلوخة بلا رأس ولا قوائم ولا بطن خاس . الطعام والبيع أصله من
 خاست الجيفة في أول ماتروج فكأنه كسد حتى فسد . لا تلم عليه اى لا تقبح أصله من
 أبليت الناقة ورم حياؤها من شدة الضبعة وألم الرجل ورمت شفته توحش للدواء
 اى اخل جوفك له يقال بات وحشا اذا لم يطعم وباتوا أوحاشا ليثنين . الاسير أصله
 انه كان يؤخذ فيربط بالقد واسره اى شده فصار الاسير اسما للمأخوذ قال الله تعالى

ابن عوف رجل قوى . رجع نحني حنين لمن رد عن حاجته قيل انه كان رجل ادعى الى
أسد بن هاشم فأتى عبد المطلب وعليه خفان احمران فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم
ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع فقالوا رجع حنين بنحنيه فصار مثلاً . الشرف والمجد
يكونان بالآباء . يقال شريف ماجد والحسب والكرم بالنفس وان لم يكن آباء لهم
شرف . يقال فلان شولة الناصحة وشولة كانت امة رعناء تنصح موالها ونصيحتها وبال
عليهم . الطفيلي منسوب الى طفيل رجل من اهل الكوفة يأتي الولائم من غير ان يدعي
اليها يسمى طفيل الاعراس فكان يقول وددت ان الكوفة بركة مصهرجة فلا ينحني
على شيء منها والعرب تسمى الطفيلي في الطعام . الوارش وفي الشراب الواعل . بقرطى
مارية هي مارية بنت ارقم . قولهم في تحية الملك (اييت اللعن) اي اييت ان تأتي
ما تلعن به . قرم الى اللحم وعام الى اللبن ورجل عيمان وامرأة عيمى . يقال ام وعام اي
هلك امرأته وماشيته فيصير ابما وعيمان . ووصفت المرأة اشتت شيئاً على حملها
والماشية تكون من الابل والغنم وناقاة ماشية كثيرة الاولاد العبير كالانسان الغدكر
والمؤنث تقول هذا بعير وهذه بعير كقولك هذا انسان وهذه انسان ، والجل كالرجل
والناقاة كالمرأة والبكر كالفنى والبكر كالفتاة والقلوص كالجارية . الفقير الذى له بلعة .
والمسكين من لاشي . له الارامل المساكين من الرجال والنساء وارمل نفد زاده
وعام ارمل وسنة رمل . قليلة المطر . ربح ذو الجافر ورخص ذو الخف وضبط البعير بيده .
المزاد ما يستقى فيه الماء والراوية ما يعمل عليه الماء وقد رويت القوم استقيت لهم
الماء . صفرت . المرأة الشعر ولها صغيران وضران ولا تقل صغيرتان . الزوج يقال للرجل
والمرأة وقيل زوجة وزوجته امرأة وتزوجتها وليس من كلامهم تزوجت بها وأما قوله
تعالى (وزوجناهم بحور عين) فمعناه قربانهم وقيل هي لغة ويقال زوجا حمام للذكر
والانثى . الغلط في الكلام والغلت في الحساب يقال غلط وغلث . توضأت وضوءاً وقد
وقدت النار وقوداً ووقدا وقدة والوقود حطب يؤخذ به والطهور والغسل والبخور
والذرور والسقوف والسعوط والسنون والسحور والغطور ما يفعل به ذلك . واللبوس
ما يلبس والقروور والبرود ماء بارد يغتسل به وقد اقتررت والسدوس الطيلسان
وسدوس اسم رجل . والعلوقة ما يعلق بالانسان وبه سميت المنية علوقاً . السموم والحرور

الريح الحارة. والذئوب لح أسفل المتن. والدلو فيها ماء القيوم دواء بشرب للقيوم. العقول
 دواء يمسك به البطن والمشوش ماعش به اليد أى تمسح والمش مسح اليد بالشيء
 الحشن والقوم ما يرقأ به الدم هو شبوب لكذا أى يزيد فيه ويقويه والصعود مكان
 فيه ارتفاع والكؤد العقبة الشاقة وهبوط وحدور وحطوط شبوب اسم للمنية خاصة
 القرقل لما تقول له العامة القرقر والقاقوزة والقازوزة فاما القاقرة فولدة هو مضطلع بعمله
 أى قوى مقتل من الضلعة وفرس ظليع ولا يقال مضطلع والراكب الذى على البعير
 والا ركوب أكثر من الركب وهم أصحاب الابل والركاب الابل الواحد راحلة ولا
 واحد من لفظها لها. زيت ركابي يحمل على الابل والفارس راكب الفرس والحمار والبغل
 وقيل حمار وبغال ورحال وخيالة رجل نابل ونبال من النبل فان عمله فنابل رجل سيف
 وسيف وتراس ودراع ومتقوس ومتنبل معه هذه الاشياء وفارس معه سيف ونبل ومقتع
 عليه مغفر والمؤدى والمدجج والشاك والشانك التام السلاح

الباغيا الفواجر والطلائع فواحدة الاماء بنى وواحدة الطلائع بنية أى طليقة في
 سبيل الله انت ولا تقل في سبيل الله عليك طوبى لك ولا تقل طوباك ما به من العليب
 ولا تقل من الطيبة سخرت منه ولا تقل به وعجوز ولا تقل عجوزة تلك وتيك ولا
 تقل ديك كلبية ولا تقل كلوة وكليته اصبحت كليته حسبي كذا أو حسبي من كذا
 واحسبني كذا كفاني ولا تقل بسى قدى من كذا وقدى وقطى وقطى وبحسبي
 كذلك النجف (العراق)

محمد رضا الشيبى

اثار العرب الخالدة^(١)

في اوربة

الأم مالك الملك توثي الملك من نشاء وتزع
الملك ممن تشاء وتزع من تشاء وتذل من تشاء
يدك الخير انك على كل شئ قدير
«قرآن شريف»

سادتي

أقرؤكم تحية العرب فاقول لكل فرد : سلام عليك ،
واثني بـتحية الاسلام فاقول لكم جميعا : السلام عليكم ،
واعزذ هذه التحية المزدوجة بما اخذه الافرنج عن العرب فاقول لكم بمراعاة
المعني الصحيح : Salamalek



هذه الكلمة ، ايها السادة ، وان كان الافرنج نقلوها الى معنى التلق والمبالغة
في الخضوع والخنوع والخشوع ، لكنها في الحقيقة تدلنا على تأثير الحضارة
الاسلامية على امم الغرب في اوربا . افليس من سنة هذا الكون ومن نواميس العمران

(١) محاضرة ألقاها أحمد زكي باشا بنادي موظفي الحكومة بالاسكندرية مساء يوم

ان الاحتكاك بين الاقوام المختلفة وان اختلاط الشعوب المتباينة لابد ان يترتب عليها تأثير لبعضهما على البعض الاخر حتى يظهر هذا التأثير في الاحوال العامة وفي الشؤون الخاصة ؟ ذلك التأثير مصدره قوة الحضارة ، فيكون ضعيفا ضئيلا أو قويا جسيما بحسب ما وصلت اليه الامة الغالبة من الارتقاء في سلم المدنية ، وبقدر ما نالته من السيطرة والرجحان

فأما أمة استبحر العمران بين أبنائها فلا بد لها من التبسط في الارض والتغلب على الامم ، فلا تلبث أن يكون لها سلطان (ولومعنوى) على البطون والعشائر التي تجاورها أو تمازجها أو تأتمر بكلمة منها . وأثر ذلك يظهر للمتأمل المتفكر كجبين الصبح ووضح النهار في الامور المعاشية من زراعة وصناعة وتجارة ، بل في الاخلاق والعادات والطباع ، بل في العلوم والمعارف ، بل في الجد والهزل والوقار والخلاعة .

لست أذهب بكم بعيدا في اثبات هذه الظاهرة العمرانية وهذا الناموس الاجتماعي وإنما أناشدكم أن تنظروا عن أيمانكم وشمالكم وفيما بين أيديكم . أفلا ترون الرجل من قومنا ممن يكاد لا يحسن التلفظ بلغة أمه وأبيه ، ولم يرزقه الله الماما قليلا برطانات الاعاجم ، أفلا ترونه يبادر صاحبه ومشاكله عند ما يلقاه في ليل أو نهار : « بنجور مون شير ، بون سوار ؟ »

أفليس من المحقق المحزوم به ان أبناءنا سيقولون في الغيط وفي البيت « جود مورتنج ماى دير ، جود نيت ؟ » بل قد خرجت هذه الكلمة من أفواههم !

ذلك لعمري من خور النفوس وضعف الطبيعة وانحطاط الاخلاق . وقد يكون من باب التنطع عند العلماء ، ومن باب الخدقة (الخفلة) في انصاف العلماء (وهم شر الناس) . وأما الجاهلون فحسبهم أنهم جهال . ويقتني ان التنطع والخدقة من الامور التي لابد لنا من محاربتها لتكون قوامين على لغتنا وذاتيتنا ، وليكون لنا سعي مشكور في احياء آدابنا وأحياء بلادنا .

على ان موضوعي في هذه الليلة سيضطرنى في كثير من المقامات الى التذكير بأفاظ أجنبية مأخوذة عن العربية لا بين لكم ما ركه أجدادنا من الآثار الباقية والمآثر

الخالدة في الامم الاوربية . فعلى سبيل التمهيد ومن باب الدخول في الموضوع أستاذكم في القاء جملة صغيرة باللغة الفرنسية يتغلغل بها الكلام وليأخذ الحديث برقاب بعضه بعضا .

Messieurs, vous Serez probablement ébahis et ahuris, lorsque je vous dirai que les vocables ébahis et ahuris sont de souche acabe!

لاجرم أن يأخذكم العجب وتولاكم الدهشة اذا قلت لكم ياسادتي ان كلمتي Ebaui . ahuri مشتقتان عن جرثومة عربية محضة فالاولى (ونظيرها عند الطليان فعل baui مأخوذة من قول العرب فلان حائر باثر . وأما الثانية فهي من قولهم بهرت فلانا فانبهير . فهل يصح لاحد أن يحار بعد الآن في ذلك الاشتقاق) وقد ظهر السبب فبطل العجب ؟ وهذا كما ترى !

أقف هنا قليلا . ولا أزيدكم علما بأن الفرنسيين كثيرا ما يستعملون كلمتي Et voilà وتحليلها اللغوي « وانظر الى ذلك » أو كما يقول عامتنا « أهو كده » « هو كذا » ويضارع ذلك قول العرب : « وهذا كما ترى . » تلك الجملة ترد كثيرا في مسامرات أبي حيان التوحيدى مع وزير بغداد كما نراه في كتاب الامتاع والمؤانسة الذى أحضرته في هذا العام من خزانة القسطنطينية . وربما حاضرت قومي به وبموضوعه في فرصة أخرى .

ذكرت لكم في الجملة الفرنسية كلمة ثالثة وهي كلمة Souche . واصلا عربي ايضا . ولو نطقنا بها على طريقة الطلاينة لقلنا : « سوكي » اولو بحثنا عما يقابلها عندهم لوجدنا zocco, zicca فلو سقنا الآن آية من القرآن لظهر اصل الاشتقاق . قال الله تعالى في وصف الصحابة : « ورحمهم ربهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سباجهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة . ومثلهم في الانجيل كررع اخرج شطاه (فراخه وورقه) فأزره فاستغلف فاستوى على سوقه بعجب الزراع (الآية) .

اخذ الافرنج كثيرا من طرق العرب واساليبهم في الزراعة كما سنبينه فيما يحى ،
واخذوا معها الالفاظ تارة وهي في حالة المفرد وتارة في حالة الجمع . ومن هذا القبيل
كلمة souche التي نحن بصدد اخذوها عن « سوق » جمع « ساق » ثم
حرفوا معناها عن اصله فزولوا بها الى باطن الارض وجعلوها بمعنى الجرثومة والاصل : ثم
توسعوا فيها فاطلقوها على جميع المعاني التي تدل عليها الجرثومة في اللغة العربية حساً
ومعنى ، حقيقة ومجازاً

وهناك الفاظ كثيرة جدا تدل على تأثير العرب في الافرنج تأثيراً باقياً الى الآن :
نعم ان العالم قد ذهب بها الايام والعوادي ، ولكن أثرها قد بقي . فالاطلال
تحدث الباحث الشاعر ، وتستوقف الناظر والمسافر وتناجي الضائر والحواطر ، بما كان
للعرب في تلكم البلاد من المآثر والمفاخر .

وسأعترف لكم نرا يسيراً مما علمت انه مأخوذ عن العربية وقد تأصل في اللغة
الفرنسية الجيلة (وما يتبعها من اللهجات الخاصة ببعض الاصقاع في فرنسا) وفي
السان الطلياني (وما تولد عنه أو من اللهجات الشائعة في شبه الجزيرة الطليانية وما
بها من الجزر الأخرى) وفي لغتي الاسبانيين والبرتغاليين (وما تفرعا عنه أو تفرع
عنه في ربوع الاندلس بحسب الاصطلاح الجغرافي العربي من الرطانات المتداولة
الآن أو التي قضى عليها ناموس النشوء والارتقاء بالدخول في خبر كان) .

قلت لكم انني سأعترف من ذلك شيئاً ، ولست أتعدى كلمة الاعتراف قبل أن
أحيطكم علماً بأن الافرنج أخذوا عنها كلمة carafa الفرنسية و carafia
الطليانية و caraffa الصقلية و carrafa الاسبانية . ولكنهم كلهم تطابقوا
على نقل اللفظ العربي من المصدرية الى الاسمية . فهو عندهم لانا . من زجاج يوضع
فيه الحر أو الماء . ومن ذا الذي في مصر الآن اذا ذهب الى محل تجارة مذكور
لا يكون قوله مفهوماً اذا طلب . شترى الكراف ؟! نعم ان الطالب والمطلوب يتفاهمان
وكلاهما بغير العربية لا يتراطان أو هما بها يتراطان . لا أريد أن أتشبه بهذا البائع
وبهذا المشتري ، فلا أجول امامكم في مضمار لست من فرسانه . فلألمى بالانكليزية

قليل وبالامانية هو والعدم سواء وباليونانية كالصفر على يسار الارقام، الى ما هنالك من لغات أخرى قد أخذت عن العربية طائفة صالحة من الالفاظ والمسميات مما يتعلق بالعلوم أو بحاجات المعيشة والارزاق، كما اننا نأخذ الان عنهم بعقل وبدون تعقل، وبفكر وبلا ترو حتى أصبحنا عالة على تلك الالسة الاعجمية فيما قد نجد له بديلا وعنه غناء في لغتنا. دع عنك الالفاظ التي يتواضع العلماء عليها لأغراض مخصوصة أو لمستحدثات لم تكن معروفة، فهذا النوع من الالفاظ ملك شائع لجميع بني الانسان. وهكذا سنة الله في خلقه: يوم لنا ويوم علينا، وتلك الايام نداولها بين الناس. وأنا أملي (استغفر الله) بل الواجب علينا جميعا معاشر الناطقين بالضاد، وأهل مصر على التخصيص، أن نتصافر ونتعاون في هذا العصر العباسي الزاهر وفي ظل ملكنا الرحيم وبنائة رجال حكومته الحاضرة، فنكون عصبة واحدة ونعمل عملا متواصلا متواليا حتى يقسنى لنا احياء آدابها لتجديد العلوم فيها، ولإيجاد بواعث الارتقاء المنشود. فذلك لعمري هي الخطوة الوحيدة التي نجعل لنا مقاما كريما بين الناس، كما كان لأجدادنا السابقين الى الغايات.

أيها السادة

سبق لهذا العاجز الذي يناجيكم الآن أنه ألقى محاضرة بين يدي سيدى العباس بمناسبة افتتاح الجامعة المصرية. وقد أبنت فيها ان أهل الاسلام أما تسمعوا ذروة المجد بالرحلة الى لامصار وقطع البحار عملا بالأمر الرباني الذي أوجب علينا المشي في مناسبات الارض، والسعي في طلب الرزق، والرزق على معنيين: مادي وأدبي، كما لا يخفى،

عمل اسلافنا بهذه الاية الحكيمة فنالوا ما نالوا، وعكسناها فصرنا الى ما صرنا هؤلاء نحن نرى مئات المصريين اذا جاء القبط يقولون: «هلم بنا الى أور بالاصطيف! هذه رحلة الصيف التي كانت لايلاف قريش! « وفاتهم ان رحلة الصيف كانت لكسب المال الحلال من التجارة، والاستفادة بالمنافع المرتبطة بالارتحال: أما قومنا الان، فالسواد الاعظم منهم يهرع الى أوربا في كل عام، وأتم أعلم بالغرض الذي

يرمون اليه وبالهذف الذي يرامون عليه وحواليه . هم يفرون خفافا وثقالا
(استغفر الله) بل خفافا متأبطين ماخف حمله وثقلت موازينه ، يحملون ورقا بغني عن
الورق تكذيبا للشاعر الذي قال للمدوحة :

أهديتي ورقا لم تهديني ورقا قل لي بلا ورق ما ينفع الورق

ولو عاش هذا الشاعر الى عصرنا لا كفى من مدوحه بالتوقيع على ورقة من
السفائح (التي يسميها أصحابنا بالكبيالات) أو من المصرف الذي يخزن فيه أمواله
بالامضاء على شيك من الشيكات . تلك الكلمة الثانية أصلها عربي عن اللغة الفارسية
فهي الصك وجمعه الصكوك اخذ الافرنج هذا اللفظ عن العرب في جملة ما اخذوه
عنهم من اصطلاحاتهم التجارية والمالية فقال شيك *Chique* .

أصحابنا يهجروننا في الوقت الذي نحتاج فيه زراعاتهم الى عنايتهم ! وفي ذلك
ما فيه من الضرر عليهم وعلي بلادهم ! ناهيك بأنهم لا يتشبهون بالطير وهو كما يقول
الناس صفار الاحلام ليتم تشبهوا بالطير ! تغدو خفاصا وتروح بطانا . وأما أصحابنا
فيتهاقون علي أورية بطانا وقد تأبطوا ما جمعه أو اقترضوه من المال ويرجعون الينا
خفاصا بل صفر الوجوه، صفر الجيوب .

افرايتم أولئك الفلاحين الذين اغناهم الحظ ، وهم لا يكادون يفقهون لغة أمهم
وأبيهم ، افرايتهم حين يقولون : أنا ذاهبون للبلد الفلاني لاجل الكور *Cure* ؟ يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وما هي الكور *Cure*
(الاستشفاء والتدبير الصحي) ؟ كلمة سمعوها فاعجبته غرابتها واستعملوها وهم
لا يدرون لها معني ولا يقيمون لها وزنا ولا يعملون على تحقيقها فعلا وعملا !

غير انني في هذا الشهر المبارك شمت بارقة من الامل ولعلها مبشرة بغيث ينهل
في المستقبل ، واعني به المستقبل القريب

فقد تشرفت وجمهورا كبيرا (الواو هنا واو المعية) من أكابر الموظفين بتناول
الافطار بالامس على المائدة الخديوية في حضرة ولي الامر في مصر حفيد محمد علي ولا
فخره ، الجالس على تحت المعز وبنيه القابض على صولجان صلاح الدين وذرايه ، الوارث لتاج

الظاهر، المتحلي باكمل الناصر، المستوى على عرش المؤيد، المتبوء لأريكة الاشرف (١)، مولانا وولى نعمتنا المقر الاشرف الحاج عباس حلمي الثاني محيي الآداب العربية.

قد حدثنا عن اعجابه بقى من فتيان مصر رآه يحول في جبال الالب فيما بين فرنسا وسويسرا متقبا في بطون الوهاد متقرا فوق ظهور الانجاد مستجوبا صياصي الاجبال. وغايته من ذلك أن يتعرف ما أبقاها العرب هنالك من المآثر والاثار أو ما تركوه من الرسوم الدوارس والاطلال.

لم يكنف المليك بهذه الرعاية التي تتطال نحوها رقاب المجتهدين من أبنائه، بل بالغ في الفضل فأوصى رجال حكومته بأن يساعدوا هذا الرجل (وهو محمود بك سالم) عند عودته ليتمكن من أنعام عمله الجليل وسعيه المشكور فيما يرجع بالفائدة على مصر خصوصا وعلى الشرق عموما.

لا ريب عندي أن رجال الحكومة فاعلون لأنهم يقدرون كل عمل نافع حق قدره ولأنهم قادرون على تعضيد كل مشروع مفيد.

ولم أر في عيوب الناس عيبا ككنقص القادرين على التمام كيف لا والاشارة قد صدرت من الأمير أدام الله لنا وجوده، وأنتم عليه نعمته وأيده بروح منه حتى يكون حكمه السعيد مرشدا الى سر التقدم الذي نبتغيه لتجديد

(١) في هذه العبارة اشارة الى أكبر الخلفاء والسلاطين الذين حكموا مصر ورفعوا شأنها، فالعز لدين الله هو الخليفة الفاطمي الذي أسس القاهرة وإخامع الأزهر، وصلاح الدين هو رأس الدولة الأيوبية ومنشئ المدارس الكثيرة بمصر والشام والظاهر بيبرس البندقداري هو السلطان الذي اشهر بفتوحاته وعا أسسه من دور الكتب الكثيرة بمصر والشام وأما الناصر محمد بن قلاوون فهو أجل سلاطين مصر وقسما على برعائه أهل الفنون والعلوم وظهرت في عهده أكبر الموسوعات العربية وكان السلطان الملك المؤيد المعتمدى مغرما باقتناء نفائس المصنفات ومن أكبر أنصار العلم وقد اشهر بالاطلاع الواسع حتى لقبه التاريخ بلقب «شيخ» وأما الاشرف فهو السلطان قايتباي الذي ازدانت القاهرة في عصره باجل الآثار الفنية البديعة في الصناعات العربية على اختلاف أنواعها حتى أصبحت القاهرة في أيامه كعبة يحج إليها العلماء وجنسة زاهرة لأرباب الفنون الجميلة.

المكارم بفضل حشمة ورجاله الذين وعيهم الله من العلم والحلم ما يؤذن برفع شأن الأمة المصرية

لهذا السبب أردت أن أتعجل في القيام بالمفروض علي من امتثال هذه الاشارة والعمل بها فيما يدخل في دائرتي ويصل اليه مقدوري .
أردت أن أهد الطريق امام ذلك الصديق . حتى اذا ما عاد بالسلامة بمجود بك سالم وجد النفوس متشربة بفائدة المشروع ورأى الارض صالحة لهذا الغرس الطيب .
فيكون شعارنا كئنا : حتى علي خير العمل !

ذلك هو البعث الذي نبتغيه بعد ان طال السبات ، ذلك هو النشور الذي نشده للشرق ! فالحياة تتجدد في كل يوم عن يمينه في الشرق الاقصى وعن شماله في أوربا وأميركا وهو جامد في موقفه كأنه في البرزخ . أفلا تكون حركة من وراء هذا السكون ؟
نعم فالحركة من مميزات الحياة . ونحن والحمد لله فينا بقية وان كان بعض الناس ينظر الينا فيخالنا كالتائبين في البرابي أو كأهل الكهف ؟
بماذا تتجدد الحياة في الشرق ؟

بالرحلة لعمري ! كما ابتدأ ديسها وكما انتعشت بها الامة العربية في ايام الامويين والعباسيين . فمن المعلوم ان الوسيلة الواحدة تنهت دائما الى غاية واحدة وان المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما .
فلعل هذه الخطوة الجديدة التي كنت ولا ازال اسعى وراءها منذ ربع قرن تصبح سنة يننا وأنا اليوم علي يقين من تحقيق الاحلام . فالداعي اليها اليوم ليس احد افراد الامة وانما هو صاحب التاج ، والناس علي دين ملوكهم .
هذا واتني لأبوع الحكمة الابحس الاستماع ولا آخذ عليها ثمنا الا فهم القلوب وهذا كما ترى !

يطربني وايم الله ان أرى هذه السنة الجديدة متداولة بيننا معاشر المصريين فيرحل المقتدر منا الى أوربا بشرط ان يجعل نصب عينيه العمل على الاستفادة مما وصل اليه اهلها في حبة الفضل وميدان التقدم .
لست انكر على الزاحلين ان يضيعوا معظم وقتهم وان يصرفوا جل ما لهم في

لذات انفسهم وشهوات بطونهم . ولكني اناشدهم الله واناشدهم امهم (مصر) ان
يجعلوا الثلثين لهم والثلث لها أو ان يعملوا بقول الشاعر :

ولله مني جانب لا أضيعه ولا هو مني والخلاعة جانب

بل اكنفي منهم ان يخصصوا لوطهم نصيبا زهيدا من اعتبارهم فالذرة يتكون
منها الطود الشامخ والقطرة هي اصل العباب الزاخر

املي فيهم ان يعودوا لنا بكتاب من كتب اجدادنا التي ليست في خزائننا
(والخطب سهل فاعليهم الا ان يصدروا أمرهم لأي انسان من المشتغلين بالنقل بواسطة
التصوير الشمسي) املي فيهم ان يرجعوا الى اهلهم واهل بلادهم بفائدة (والامر ميسور
فما عليهم الا ان ينظروا بالعيون التي خلقها الله وان يعتبروا بالعقول التي اودعتها الحكمة
الربانية في رؤوسهم) . ان في اوربة الآن لآية لمن كان له قلب او اتقى السمع
وهو شهيد .

فكما كانت الرحلة سيبا في تقدم الشرق في أيام السلف الصالح ، فكذلك تكون
ان شاء الله بفضل الجليل الحاضر وما يتلوه من الذراري والاعقاب



كيف وصل المسلمون الى اوربة ؟

يقطع البحر الفاصل بيننا وبينها . هذا البحر الذي نسميه الآن بالبحر الابيض
المتوسط *Mediterranée* والذي كان يسميه اسلافنا بالبحر المتوسط لتوسطه بين اراضي
افريقيه واسية واوربية واسمه المشهور عندهم ايضا بحر الروم . ولو انهم سموه بالبحيرة
الاسلامية لكانوا قالوا حقا واثبتوا صدقا . فقد امتلكه المسلمون وامتلكوا ما فيه
من الجزائر مثل : ميورقة ومنورقة (وهي المعروفة الآن بجزائر الباليار وكان المسلمون
يسمونها جهذين الاسمين وباسم الجزائر فقط واما القطر الجزائري المشهور *Algérie*
فاسمه عندهم مأخوذ من اسم عاصمته *Alger* جزائر بين مرغنه او بني مرغونة) ثم
صقلية ، وقورسقة وقريطش (المعروفة الآن باسم كريد) وكل هذه الجزائر كانت
المضارة الاسلامية فيها باهية باهرة زاهية زاهرة .

اما الجزائر الصغرى فيكان شأنها كذلك مثل قبرس ورودى ومالطة . واثار الاسلام ايضا باقية الى الان ولعلمكم ترتاحون الى العلم بان مالطة كانت سوق الادب العربى فيها راجحة كان صاحبها اسمه القائد يحيى صنع له احد المهندسين صورة لمعرفة اوقات النهار بالصنج فقال ابو القاسم بن رمضان المالطى لعبد الله ابن السمط المالطى أجز الله هذا المصراع

جارية ترمى الصنج بها النفوس تبتهج

فقال

كان من احكمها الى السماء قد عرج

فطالع الافلاك عن سر البروج والدرج

اما بحر الارخبيل وجزائره فلم يدخل فى حكم العرب بصفة أكيدة حقيقية وانما كانوا يغيرون فيه عليها من حين الى حين تبعاً لعلاقاتهم مع الروم صلحا وهدنة وسلا وحربا . هذا البحر هو بحر الارخبيل أو بحر هيجاي *Hygie* فأنتم ترون أنه شىء وبحر سفيد شىء آخر . ولا عبرة بما يرد فى هذه الأيام فى كثير من الجرائد العربية بمناسبة الحرب الحاضرة والكلام على الارخبيل وجزائره العثمانية - فان الذين وقفوا أنفسهم على الترجمة فيها قد وقفوا عند ما رأوا بحر *Hygie* ورأوا فى كتب الجغرافية الترية أو المعربة عن هذه اللغة لفظة بحر سفيد فاغترروا وغرروا بالقارئين اذ قالوا انه بحر سفيد . أطلقوا على هذا البحر اسم « سفيد » لانه غير متعارف فى مصر وظنوا انهم أفادوا وأدوا الامانة حقها . فكانوا مصداقا جديدا للمثل السائر عند الطليان وهو *Traduttore Traditore* ومعناه الترجمان خوان ويصح لنا أن نترجم ذلك مع التساهل ومراعاة ملكة اللسان المضرى بقولنا « المترجم مبرجم » والبرجمة غلط الكلام .

فأملى أن تصل كلتى هذه الى أرباب الاقلام فلا يعودون الى مثل هذا التخليط . قلت لكم ياسادى ان المسلمين عبروا البحر فامتلكوا جزائره وجعلوها قواعد تقوم عليها أعمالهم فى الفتوح كما هو شأنها اليوم مع الدول العظمى . ومنها ذهب المسلمون الى أوربة فامتلكوا ماقدروا عليه واحتلوا ما تيسر لهم ، وأغاروا على ما أرادوا .

ذهبوا بأساطيل مؤلفة من الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام . تلك الأساطيل التي تغنى بها الشعراء بالاحاجة للإشارة اليه الان لئلا يتشعب معنا الكلام فيخرج عما يقتضيه المقام . وانما أودت لغت الانظار الى أن الدول التي تريد اعلاء كلمتها وحفظ بيطتها لا بد لها من امتلاك ناصية البحار وذلك لا يكون الا بتلك الحصون الماخرات الشامخات المشمخرات . فان البحر له الشأن الأكبر في رفع شأن الدول وسلطة بعضها على بعض بحق وبغير حق . وحسبكم ما هو حاصل الان بين سمعكم وبصركم في البحر الابيض المتوسط وفي بحر الارخبيل بل وفي البحر الاحمر المعروف في كتب الجغرافيا العربية ببحر القلزم نسبة الى مدينة القلزم (Clizma) التي قامت مقامها وعلي القرب منها مدينة السويس

أخذ العرب عن اليونان اسم الاسطول للدلالة على مجموع السفن التي تباشر الحرب في البحر كما أخذنا نحن الان عن الافرنج كثيرا من اصطلاحاتهم البحرية . ومن ذا الذي ركب منكم البحر ولم يحتجز له قرة في الباخرة ؟ هذه القمرة هي طليانية المنبت والمحدد Camera ومعناها الغرفة والحجرة والاضوة . فان هي الا معاوضة ومقايضة كما ان البحر اذا انحسر عن البر من هنا طغى على الشط المقابل له في ناحية أخرى . ناموس عام تقبلي ظواهره في كل أعمال الانسان وفي سائر أحوال العمران كذلك كان شأن الافرنج منذ قرون ولقد بقيت الاسماء العربية متعارفة عندهم وفي كل لغاتهم وليس لهم سبيل الى تبديلها بغيرها . اذكر من ذلك مثالا واحدا لأنه الأس وبمثابة الرأس فلفظة أميرال عربية الاصل وهو عندنا أميرالماء كما تراه في موسوعات النويري . بهر القوم النصف الاخير من باب التلطيف والتخفيف كما هو شأننا أيضا في تعريب الكلمات الاعجمية . وقد جئنا الآن تجاريناهم على التعبير بهذا الحرف وبما تركب معه فنحن نقول : أميرال ، كثر أميرال ، فيس أميرال .

من هو أول أميرال مسلم ؟
هو العلامة بن الحضرى الصحابي الجليل عليه رحمة الله فهو أول مسلم ركب البحر للغزو وكان ذلك من جهة الشرق في الخليج الفارسي من عمان والبحرين .
وأما أول أميرال مسلم ركب بحر الروم للغزو فهو معاوية بن أبي سفيان حينما كان

عاملا على الشام في خلافة عثمان بن عفان .

ثم ان المسلمين شغفوا بالمهاد في البحر وامتلاك بعض جزائره . والذي يهمنا بصفتنا مصريين هو أن نعرف ان أول تأسيس دار الصناعة كان في جزيرة مصر (جزيرة الفسطاط) في سنة ٥٤ هجرية وان الاسطول بمعناه الحقيقي كان انشاؤه للمرة الاولى في بلادنا في أيام عبسة بن اسحق والى مصر باسم الخليفة المتوكل العباس الذي سذكه بمناسبة المنجنيق عما قريب) وكان ذلك في سنة ٢٣٨ وكانت مصر انما تصد بأسطولها غارات الروم وغيرهم من أمم أوربة .

وأما المهجوم فلم يكن من شأنها الا في حالة العدوان عليها . وذلك لاثمها من حيث الفتح والتوسع في الاستعمار ما كانت تطمح في غير رودس وقبرس . والسبب في ذلك انها تركت أمر الجزائر الاخرى للبلاد الاسلامية القريبة منها فكانت تونس توجه همها البحرية الى صقلية وسردانية ، وكان المغرب الأقصى متكفلا بجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة Ivice, Iviza, Ibiza وشطوط الاندلس وسواحل فرنسا

ولكن تونس سبقت مصر في اتخاذ الاساطيل في أيام عاملها حسان بن النعمان بأمر الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ للهجرة :

بلغت الاساطيل الاسلامية من الجلالة انه كان لا يدخلها « غشم على قول الامام المقرئى - ولا جاهل بأموار الحرب وكان لخدمها حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أن يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتي يستقر فيه . » وقد أفادنا أيضا ان العناية بالاساطيل الاسلامية في مصر انما قويت منذ قدوم المعز لدين الله اليها . وأن المقدم على الاسطول كان اميرا كبيرا من اعيان امراء الدولة واقوام نفسا (وهو الاميرال) وكان الاسطول يزيد في أيام المعز على ثمانمائة قطعة ثم اخذ في الانحطاط ولكن لم ينقص قط عن مائة قطعة فكان الخليفة يحضر بنفسه تجهيز الاسطول وتفريق النفقة على رجاله . حتى اذا تمها للاقلاع ركب الخليفة الى منقارة المنقاس (محل جامع اولاد عثمان الان) لتوديعه باحتفال باهر فيكون له يوم مشهود يزدهمها وروا حركات الاسطول المعروفة الان بالماناورات البحرية والحربية (Les Manœuvres navales)

وقد بلغ من عنايتهم بالاسطول ان دار الصناعة في مصر ما كان يدخلها احد راكبا
الا الخليفة ووزيره وذلك في يوم الاحتفال بفتح النيل اى جبر الخليج الذى انطمس
الان وصار طريقا للترامواى واضمحى الاحتفال الآن معروفا بموسم وفاة النيل
كان للاسطول في ايام صلاح الدين ديوان مخصوص يسمى ديوان الاسطول
وسمى لآخيه الملك العادل . فكان هذا الديوان يشبه ما كان معروفا في ايام محمد علي
بديوان البحرية وما هو معروف بديار اوربة بنظارة البحرية . وهو الآن صغر في مصر فلا
عين ولا أثر .

وكانت اسكندرية ودمياط هما الميناءان الحاربان البحريان في ديار مصر وضمف
اليهما مدينة تليس التى هي الان خراب بلقع واما الفسطاط (مصر القديمة) وقوص (من
أعمال الصعيد) فكانتا من اعظم الموانى النيلية وفيهما يكون انشاء السفن الحربية التى ترابط
بتلك الثغور وتذهب للغزو فى البحر لاجل اعلاء كلمة مصر وجعل رايثها خفاقة في الخافقين
ماهى القطع التى كان يتألف منها الاسطول في الدول الاسلامية ؟

هي الأعواديات والأغربة والبركوشات والحراريق (أو الحرافات) والشلنديات
والمسطحات . ويتبعه سفائن أخرى تسمى في المرتبة الثانية من المسكانة وان كانت
حاجته اليها شديدة وستشكلم عليها عما قريب .

سارت الاساطيل الاسلامية باسم الله بحراها ومراسها فأرست على سواحل
الجزر وشطوط أوربة . وألقت مراسها وهي الاناجر جمع أنجر لفظة يونانية عربوها
فقال الفرنسيون *Ancre* واشتقوا منها المصدر *Ancher* ثم ربط العرب مراكبهم
بالجبال الغليظة وهي الامراس والمرار جمع مرفسى الطليان ذلك الجبل *amarra*
وتوسع فيها الفرنسيون فقالوا *amarriage, amarrier* مثل ما صنع العرب حينما قالوا
أمر السفينة أو الشئ بمعنى ربطهما بهذا الجبل الغليظ القوى المتين وعلى ذكر الجبل اذكر
بأنه هو *Câble* الفرنسية بمعنى واحد وان اللفظة الثانية مأخوذة عن ذلك الأصل
العربي .

ولا يسعنى أن أتجاوز الشط وأتبع العرب في سيرهم قبل أن أقول انهم حينما
استقرت قدمهم بالسواحل أنشأوا فيها دور الصناعة على مثل ما ذكرنا في مصر وونس

فقال الطليان في أول الامر *Darsena* (دار الصناعة) فكان مثلهم في ذلك مثل أهل إسبانيا والبرتغال . ثم قال الطليان *tarzana* ثم *arzana* ثم *arzanale* ثم *arsenale* واستمروا على هذا اللفظ الأخير الى يومنا هذا ومنه كلمة الفرنسيين *arsenal* فلما جاء محمد علي وتقلد أمر مصر وأراد احياها رأى ان ذلك لا يتم الا بإنشاء الاسطول . فاستحدث دار الصناعة في الاسكندرية وأنشأ الاسطول واستخدم في ذلك كثيرا من الأتراك والطليان وغيرهم من بني الاصغر فلذلك جرى أجدادنا الأقربون هؤلاء الاقوام فاستردوا منهم كلتنسا العربية البحتة الحقة المحضة مصبوغة بلون افرنكي ضاعت معه معالمها الاصلية فقالوا كما قال الترك « ترسانه » بل تركها بعضهم أكثر من الترك أنفسهم فقال « ترسانه » من باب المبالغة في التضييل وتعمية الآثار الاصلية . وقد استحكمت هاتان الكلمتان في استعمال الخاصة والعامة حتي لا سبيل لاقتلاعها أو الاقلاع عنها مع ان الطليانيين لا يزالون الى اليوم والى ما بعد اليوم يقولون *Darsena* ولكن للدلالة على القسم الداخل في جوف الميناء حيث يربطون السفن المحتاجة للتعمير بعد نزع آلاتها وجهازاتها .

ما هي الوظيفة الاساسية لدار الصناعة ؟

انشاء السفن واصلاح ما عساه يحدث فيها من العوار ؟

أخذ الافرنج الكلمة الثانية وصنعوا منها كلمة *avarie* ثم أطلقوها أيضا على جميع أنواع العوار في السفن والسلع وغير ذلك .

ومن المعلوم ان انشاء السفن يدعو الى ما نسميه نحن الان بالقاطعة على يد القلفاط فهذان اللفظان نالهما ما نال دار الصناعة فأنهما معربان عن اللغات الاوربية التي أخذتها عن اللغة العربية . وهذا كما ترى .

رأى أجداد الافرنج عملة المسلمين يشتغلون في دور الصناعة بالقلعة فيقلفون المراكب فقالوا *calfa* من فعل « قلف » العربي ثم اضافوا اليه علامة المصدر في لغتهم بعد زيادة حرف التاء للتوصل للنطق بين ما كتبت كما يقولون في حالة الاستفهام (*calfa-i-a*) قال في تاج العروس قلف السفينة قلغا خرز الواحها بالليف وجعل في خللها القار (الزفت) والاسم القلافة بكسر القاف اقليس هو هذا الذي يفعله القلفاط

يا ابناء السبالة ويا اولاد الانفوشي / قائم في ذلك شهود عدول
كل اسطول لا بد له من سفان تحمل الزاد والمتاع والسكران . فنها التي نسميها
اليوم (بالثقلات) transports اما الاساطيل الاسلامية فكانت تخدمها القراقر
جمع قرقور اخذ الطليان هذا اللفظ فقالوا carraca وقال الفرنسيون carraque
لا تعجبوا من التباعد بين الاصل والفرع فان الانتقال من لغة الى اخرى يدلنا على ما هو
اشد وابعد ولتعلمن بناءه بعد حين ولكن اذا علمت ان البرتغاليين يقولون في تسمية هذه
السفينة carrora ثبت لكم صدقي وقد استرجعنا اللفظ منهم في هذه العصور الحديثة
ولكن مفرنجنا قلنا كراكة من قول الطليانيين carraca ولكن بمعنى آخر لنوع آخر
من السفن التي تستعمل لنزع الطين والرمال من قاع النهر والترع والحلجان ومن قاع
المواني والمعاير البحرية في نظير المركب المسمى عند الفرنسيين Drague وكان لا بد
لكل اسطول من سفان خصوصية لحمل الخيل وهي التي تسمى بالطرائد جمع طريدة
(وذلك خلافا للطراد وجمعه طرادات) اخذ الافرنج هذا الاسم فقال الطليان tarida
ثم tartane وقال الفرنسيون tartane ولكن للدلالة على سفانها الشراعية التي تمخر
في البحر الابيض المتوسط غربا . من توابع الاسطول الفلانك جمع فلوكة فقال الطليان
feluca وقال الفرنسيون flouque وكذلك الشباك فقالوا chébec, scibecou
ومن توابعه القوارب فقالوا Carcelle من اللفظ المفرد وهو قارب وربما يصح القول
بانهم أخذوه من غراب بقيت على كلمة بشأن الشلنديات التي ذكرتها في
اسماء امراكب الاسطول . ففردوها شلندي (ولا ادري ما أصله في العربية)
وربما كان أصله عن اللاتينية وهو chelandium واخذه الروس فقالوا schelanda
وقال الطليان scialando والفرنسيون chaland واسترجعناه منهم بطريق التعريب
والتقريب والتأهيل فقلنا (صندل) واصبح هذا الاسم يعرفانه عندهم وعندنا علما
على السفان المخصصة لنقل البضائع مثل المواعين جمع ماعونة التي قال فيها الفرنسيون
makonne وقال الطليان makona, maona, magona ارجعوا بنا قليلا الى البحر

فان الاسطول قد تصادفه الرياح بما لا تشبیهه وقد تعاكسه الامواج فيلقى النوتية او النواتية nantonniers منه الامر ين وهول البحر وهولته يعرفها كل من اقمح لجته فلما لاحون يسمون اضطراب الموج الشديد بالهولة فقال الفرنسيون في ذلك houle للموج المتعالي كالجبال وقد تعاكسه الريح التي تهب من الجنوب الشرقي فبقى الاسم الثاني في ذاكرة الافرنج فقال الطليان scilocco — sirreco scirseco واما الفرنسيون فاطلقوا عليه sicco sicoe وكل ذلك مأخوذ من الشرق والشرق اما رياح الموسم فيسميها الفرنسيون mousson والطليان mousone ولا تعجبوا لوضعهم النون بدل الميم في آخر الكلمة فلهم في التبديل شي كثير من هذا القبيل وحسبنا انهم جميعا يسمون مدينة سواكن Souakino فلناخذ النون من هناك ونضعها بدل الميم هنا لئلا نرد كل شي لأصله لان كلمة rendre و rendera عندهم مأخوذة من الاصل العربي وهو الرد ولا عجب فان اللاتينين قالوا Redd-ere باضافة علامة المصدر فزاد الطليان والفرنسيون نونا من عندهم وليس لنا في ذلك شأن معهم ولكنهم عند نحت الاسم يردون الكلمة الى جرنومتها العربية فيقولون في تقديم الحساب وفي تسليم الحصون

Reddition des comptes, reddition d'une place fortifiée

نعود الى الاسطول ونقول انه بعد ان لقي من البحر مالتى دخل الى الميناء ولعدم خبرة الزبان اصطدم بشعب فقال الافرنج في ذلك récif تشبها له ببرز الرصيف في الشوارع والطرقات التي أنشأها العرب فيما بعد بتلك البلاد ثم دخل الاسطول الى الميناء في كرامة الله وحفظه وفعل ما سنأتي على يانه . وصل الى المحل الذي يأمن فيه من عبث الرياح وتوران الأمواج وهو الموضع الذي يسميه الاسبانيون والبرتغاليون cala والفرنسيون cale وقد استعمله الفرنسيون أيضا لجوف السفينة .

الفاظ أصلها مشتق من كلمة كالا العربية بمعنى حرس وحفظ.

وهذا كما نرى .

ماذا صنع الاسطول ؟

اصطف للقتال ونصب المنجنيق . هذه كلمة يونانية استلحقها العرب وأضافوا إليها النون الاولى لتدخل في أوزانهم .

عادة المغاربة جرت بأنهم لا يضعون نقط الاعجام فوق الفاء والقاف وتحت الياء متى كانت هذه الحروف مفردة أوفي آخر الكلمات .

اذ في هاتين الحالتين لا يمكن حدوث التباس بينهما وبين ما يشابههما من الحروف الأخرى . فلو تصورنا ان بعضهم كتب اسم هذه الآلة الحربية على هذا المثال « منجنيق » وفرضنا ان ذيل الحرف الاخير انطمس بسبب ما فأصبح « منجنيو » فاننا لو أردنا أن نرسمها وهي على هذا الشكل بحروف افرنكية لتحصلنا على

mangonneau منجنيو وبنطقهم منجنو بغير تشديد النون وان كانت مكتوبة مرتين وهو الاسم الذي أطلقه الفرنسيون على المنجنيق

أتعبتكم بذكر البحر والحرب وأنتم أهل السلام فهل تحبون الذهاب الى العراق والدخول بسلام في مدينة السلام، مدينة بغداد؟

كانت مدينة أبي جعفر (بغداد) جنة الدنيا في عهد هارون والمأمون وخصوصا في أيام المتوكل . وكان فيها شاعر يسمى أبو العبر له أحوال عجيبة وأمور غريبة وكان من المجان الذين يقل نظيرهم في الدنيا . وقد تكفلت كتب التواريخ والادب بشرح أموره وكان يزيد في كل سنة حرفا في اسمه حتى انتهى بعد بضعة سنوات الى: أبي العبر طرد طيل طليرى بك بك كان المتوكل يلبسه قميصا من حرير ثم يرمي به في المنجنيق الى نهر دجلة فتى حذفه المنجنيق في الهواء صاح : الطريق الطريق (كما تقول الآن وسع وسع) ثم يقع في الماء فيأتي السباح ويستخرجونه من الماء . وكان في أحد قصور المتوكل زلاقة ما أشبهها بالتوبوجان Tolozan الموجود الآن في مصر الجديدة (واحدة عين شمس) فكان الخليفة يأمره بالجلوس عليها ومن هناك ينحدر ساقطا من فوق الزلاقة حتى يقع في البركة فيطرح الخليفة الشبكة فيخرجه كما يخرج السمك . وفي ذلك يقول شاعرنا :

ويأمرني الملك فيطرحنى في السبك
و يصطادني بالشبك كأي من السمك

فعل المنجنيق بالحصون فأعيله وتم له النصر خلا الجو والبر للعرب فمزلوا وقاتلوا وقازوا
ثم شنوا الغارات على الاقطار الثانية تمهيدا للتسلط عليها فقال أصحابنا *Algarade*
في الغارة وقال الاسبانيون في المغاورين *almogavares* ولا يزال أهل إيطاليا
يقولون *magavero* للدلالة على الجندي وعلى المزارق الذي يعتقه وقالوا في الغازي
alguazil (ورهب بعضهم الى أنها مأخوذة من الوزير) ولا عجب من اضافة
الجيم في هذه الحالة الثانية فانهم يضيفونها على جميع الكلمات العربية المبدوءة بحرف
الواو فيقولون في الوضوء *alguado* وفي الوادي الكبير *guadalkivir* وهكذا
ومن كلمة *alguazil* اشتق الفرنسيون قولهم *argousin* لحارس المذنبين المحكوم
عليهم بالاشغال الشاقة ورأوا العرب يستعملون البطانة وهي آلة رمى البندق وصيد
الطيور فقال الاسبانيون *cerbatana* و *schrata* و البرتقاليون *saravatana*
و *sarabatana* وأما الطليانيون فقالوا *corbottana* واقتصر الفرنسيون على
sarbacane وربما كان من هذه الجرثومة قول الاسبانين *zarabande* وقول الفرنسيين
sarabande وأوهم يستخدمون الكلمة وهي نوع من السكاكين فقالوا *couteau*
وربما كان هذا اللفظ مأخوذا عن صيغة الامر من قول العرب : قط يقط قطأما الخنجر فقال
الطليان فيه *cangiaro* والفرنسيون *alfange* وعلى ذلك قول شاعرهم

De nos honteaux soldats les alfanges errantes,

A genoux ont jeté leurs armes impuissantes.

وقالوا في الزغاية وهي نوع من لحراب العربية : *Zagaie* تجتمع العساكر عادة
على صوت البوق ولكن الاسبان حينما أخذوا هذه السكاكة ونقلوها الى لغتهم قالوا
albugue لزمارة الراعي . ومتى اجتمعت العساكر للعرض والتعزير فان الفرسان
تختال بخيولها وقد تختال الفرس فيدور على نفسه وذلك قول العرب كركو الفرس أخذ

الفرنسيون ذلك اللفظ فقالوا *caracader* وما أجل أمرى القيس حين وصف الفرس
بشطرة واحدة كل كلمة منها تدل على حركة مخصوصة وتجعل السامع يتخيلها واقعة
حاصلة بحضرته قال

مكر مفر مقبل مدبر معا كجملود صخر حطه السيل من عل

وكانت السهام في ذلك الوقت هي التي يرمى المتحاربون بها ، ولا يزال العرب
مشهورين باصابة القبلة وهي الهدف والغرض والقرطاس . فقال الفرنسيون في هذا
المعنى *cible* من كلمة قيلة . ولا أزيدكم علما بأن السهام توضع في الكنانة وهي الجمعة
غير ان اشباك العرب بالفرس والترك جعلهم يختارون كلمة من غير لسانهم وهي
التركاش بهذا المعنى فقال الطليان *turcasso* ثم قالوا *carcasso* كما قال الاسبان
carcaux وكما قال البرتغاليون *carcas* والفرنسيون *carquois* وأنتم تعلمون ان
الفرنسيين كانوا الى عهد قريب ينطقون بحرفي *oi* كما ينطقون بحرفي *oi* ولكنهم
عدلوا عن كتابة *oi* في أمثال هذا المقام وابقوا *carquois* على حالها رسما ونطقا
بالنطق الجديد فلذلك صار يشها وبين أصلها العربي بون بعيد .

الى هنا وضعت الحرب أوزارها فاستقرت قدم الفاتحين وعرضوا جيوشهم تحفقا
فوقها الرايات والاعلام والبنود . فأخذ الفرنج هذه الكلمة الأخيرة فقالوا في بند
المعربة عن الفارسية *bande* دلالة على الجماعة المنضوين تحت لواء واحد ثم أطلقوها
من هذا القيد وقال الطليانيون في ذلك *bandiere* والفرنسيون *bandière* وأخذنا
عن الطليانيين كلمتا مطلية فمنح نقول الآن بنديرة .

ماذا كان لون راياتهم ؟

كان تبعاً لشعار الدولة القائمة في دمشق أو بغداد أو القاهرة . فشعار بني أمية
من الألوان المحضرة في الملاص والياض في الرايات أخذوا البياض عن اللون الذي كان
يعتم به النبي صلى الله عليه وسلم وأما بنو العباس فشعارهم السواد في الخاتين . أخذوا
ذلك فيما يقال عن اللون الذي اختاره رسول الله يوم حنين ويوم فتح مكة . فانه عقد

لعمه العباس راية سوداء . وقيل ان ذلك يرجع الى حزنهم علي ابراهيم بن محمد أول القائمين بالدعوة العباسية . فان مروان بن محمد الجعدي المنبوذ بالحمار وهو آخر بني أمية حينما ضيق عليه الخناق قال الرجل لشيعته : لا يهولنكم قتلي . فاذا تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم العباس . فلما قتله مروان لبس أشياعه كلهم السواد حدادا وحزنا عليه حتى اذا صار اليهم هذا الأمر أعنى الخلافة جعلوا السواد شعارهم في كل أمورهم وكانت جنودهم تعرف باسم السوده فكانت المسودة تتقابل مع المبيضة (أى لابسي البياض من الموالين للأمويين) والناس على فريقين بعضهم يسود وبعضهم يبيض حتي عم السواد سواد العراق وخفق على جميع الآفاق . اللهم الا في الاندلس فانها عادت أموية بفضل عبد الرحمن الداخل وكان شعارها الخضرة في الرايات كما يراه الانسان في البقايا المحفوظة الى الآن في دور التحف بمدريد وغيرها من أمصار اسبانيا ولقد تغالى الاندلسيون أيام دولتهم في كراهة السواد حتى انهم لم يستعملوه في الحزن والحداد فكانوا يلبسون الثياب البيض فقط في الحداد لئلا يتشبهون بالعباسيين في شيء . ماحتي عند وقوع المصائب وكوارث الايام .

ولقد تجددت في هذه الايام ذكرى الاندلسيين في حدادهم على يد عادة من فتيات أمركا وهي تظن انها مبتدعة للبس البياض في حالة الحداد . أشير الى أرملة الخواجه أستور صاحب القناطير المقنطرة من الدنانير والملايين المملينة من الذهب الوهاج فانه بعد ان غرق حديثا في الباخرة تيتانيك titanic وهي لا تزال في ريع العمر وربعان الشباب رأت من الواجب عليها أن لاتشوه محاسنها بلبس السواد على ما جرت به العادة الشائعة الآن في جميع أقطار العالم فاختارت البياض . فمن لي بتعريف هذه العادة المعينة بانها ليست من المجتهدات وانها انما كانت لعرب الاندلس من المقلدات .

ومن غريب ما يتعلق بالسواد والنساء ان الظاهر خليفة الفاطميين بمصر لما قتلته وزيره . بعث نساء الخليفة بشعورهن الى الصالح طلائع بن رزيك وهو يومئذ عامل بمينة ابن الخصب (أعني انه كان مدير المنيابح حسب اصطلاحنا الاداري الآن) فاسرع لنعجدهن . ورأى أن

يستميل الامة المصرية وأجنادها اليه لاجل اغاثة الحريم والدفاع عن بيضة الخلافة
ففقده تلك الشعور على رؤوس الرماح (كما هو الحال الآن في وضع جدائل الشعر فوق
المزاريق التي يعتقلها الرماحة في أوربة وفي مصر) وأقام الرايات السود من باب الحزن
على الخليفة المقتول وعلى ماحل بالقصرين وساكنات القصرين من بيت الخلافة
واعلانا بالحرب لأخذ نار الظافر فدخل القاهرة على هذه الصورة . فكان ذلك من
الغالب العجيب وهو ان مصر انتقلت الى المسودة (بني العباس) ورجعت الى حكمهم بعد
ذلك بخمس عشرة سنة في أيام العاضد آخر الفواطم وعلي يد صلاح الدين الذي يسميه
الافرنج كلهم Saladin فكان السواد شعارها الرسمي تبع الراية أمير المؤمنين miramolin
حتى جاءت دولة المماليك فصار لون الرايات هو الاصفر . كانت لهم راية سلطانية
كبيرة صفراء وهي مطرزة بالذهب وعليها ألقاب السلطان . وبعدها راية عظيمة صفراء
أيضا وفي رأسها خصلة من الشعر وهي التي تسمى بالجاليش . ويتلو ذلك رايات صفر صفراء
تسمى السناجق

فلما جاءت الدولة العثمانية صار اللون الرسمي هو الاحمر يتوسطه الهلال المحبوب
الذي ترمقه العيون وتلتف حوله القلوب .

فلنتف الآن تحت الهلال ونترك البقية الباقية لمحاضرة أو محاضرات تالية ان شاء الله

احمد زكي



مطبوعات ومخطوطات

﴿ مؤلفات الدكتور شبلى ﴾

قليل في المؤلفين المتقدمين والمتأخرين من رزقوا شجاعة الدكتور شبلى شميل
 وصراحتة في المجاهرة بآرائه العلمية والفلسفية والاجتماعية عرف بذلك منذ نحو أربعين
 سنة فعد في مصر والشام أحد أفراد قلائل جدا وربما كان فردا في بابة ثبت المؤلف
 في كفر شيامن جبل لبنان ودرس الطب في كلية الاميركان وأتقن اللغة الافرنسية
 فسهل عليه الكتابة بها كما سهل عليه الكتابة بالعربية وهو ينظم الشعر يتوخى فيه
 المعاني العلمية والاجتماعية وهاجر الى مصر منذ أربعين سنة ولولا ذلك لاضطهد
 وأودى كثيرا خصوصا ومن مذهبه الدعوة الى العلم المحض الجديد والزهد في التعاليم
 القديمة كيف كانت حالها وهو ناشر مذهب دارون في النشوء والتحول باللغة العربية
 وهذا المذهب هو الذى يدعي بعضهم أنه يقول بأن أصل الانسان قرد والحقيقة أنه
 « لا يقول ان القرد أصل الانسان وان الحمار أصل الفرس بل ان الانسان والقرد
 والفرس وسائر الاحياء في الطبيعة قاطبة من أصل واحد في نشوئها من مواد الطبيعة
 وبمجرد قواها وقد تغيرت تبعا لتاموس المطابقة حتى بلغت مبلغها الآن بالانتخاب
 الطبيعي » فذهب دارون الذى أثار ضجة كبرى في هذا الشرق الادنى يوم ظهوره
 بالعريضة هو مذهب علمى محض يدرس اليوم في المدارس الحرة من غير تكبر وهو
 لا يضر بجوهر الاديان على ما يقول بعض الباحثين فيه يدان الحكمة تقضي على
 المتشبعين به أمثال صديقنا الشميل أن يدعوا اليه ولا يفوضوا من شأن تعاليم رسخت
 في النفوس فوقرتها على نوالى القرون وعندنا ان المبادئ العلمية كانت تربي قبولاً من

النفوس في بلادنا أكثر مما دأت لولم يعرض أربابها بما هو أغزر عزيز على الناس شربوا تقديسه مع ابن أمهاتهم وهيهات أن يفعلوا عنه بمجرد دعوة داع أو تعرض معرض .

والكتب التي بين أيدينا من مؤلفات الشميل هي كتاب فلسفة النشوء والارتقاء وقع في ٣٧٧ صفحة طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩١٠ وكان نشر أكثره في مجلة المقتطف العلمية كبيرة المجالات العربية ومجموعة ثانية وهي كجزء ثان للكتاب فيها موضوعات شتى عمرانية طبيعية علمية تاريخية أدبية سياسية تقريرية انتقادية فكلها مما نشره المؤلف في جرائد ومجلات كثيرة فظم شتاه وقد طبع في مطبعة المعارف بمصر وهو يقع في ٣٤١ صفحة والكتاب الثالث رسالة في آراء الدكتور شبلي شميل طبع بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٩١٢

• مؤلفات الحسيني

من الناس من يؤلفون إرادة النفع العام ومنهم من يؤلفون للالتجار بما يؤلفون وكلنا الطبقتين نافعة ومن أهل الطبقة الأولى صديقنا أحمد بك الحسيني أحد سعاة القاهرة ووقفاؤها القانونيين وآخر ما أهدانا من كتبه ورسائله ما طبعه في مطبعة كردستان العلمية « كتاب بهجة المشتاق في بيان حكم زكاة أموال الأوراق » وهو بحث عصري ديني بحث فيه في الأوراق المالية عند الأمم كلها وحكمها ونظامها وطبق ذلك على الشريعة الغراء وهو في ٢٢١ صفحة والكتاب الثاني « البيان في أصل تكوين الإنسان » وهو في ٢٠٨ صفحات والرسالة الثالثة في كتاب اعلام الباحث بفتح أم الحباث في ١٥٤ صفحة والرسالة الرابعة في الاصول المسماة تحفة الرأي السديد الاحمد لضيا التقليد والمجتهد في ٨٤ صفحة وهذه الرسائل كلها مما تشتد حاجة العصر اليه لدفع الخرج عن الناس وتعليمهم الدين أو بعض مسائله العويصة مطبقا على أحكام العلم والعقل فجزى الله المؤلف أفضل ما يجازى عاملا لا يتوقع من عمله الا الاصلاح والانفع بما يعلم ويفهم

طبقات الامم

تأليف جرجي بك زيدان طبعه بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١٢ ص ٢٨٦
 لمنشي. الهلال جرجي بك زيدان نفس طويل في التأليف وتفنن في ابتداع
 المبتكرات من الموضوعات ولا سيما مآراق منها طبقة خاصة من القراء وآخر تأليفه
 هذا السفر وهو بحث في أصول السلائل البشرية وكيف نشأت وتفرعت الى طبقات
 وانتشرت في الارض وما تقسم اليه كل طبقة من الأمم أو القبائل وخصائص كل
 أمة البدنية والعقلية والأدبية ومنشأها ودار هجرتها ومقرها الآن وعاداتها وأخلاقها
 وآدابها وأديانها وسائر أحوالها وقد اعتمد فيه على أشهر من كتب بالانكليزية في
 هذا الموضوع وأضاف اليه بعض مايلذ ويفيد من المعلومات العربية وحلاه بأعمودجات
 من صور كل جنس من أجناس البشر فجاء يجمع الى الفائدة العلمية الخفيفة النكتة
 الفكاهية الطريفة تنتفع به الخاصة وتحرص عليه العامة فنهته بكتابته الجديد ونرجوله
 التوفيق الى تأليف عشرات من أمثاله خدمة للغة وآدابها

حكم النبي محمد

للفيلسوف تولستوى وشي* عن الاسلام وأوروبا نقله عن الروسية سليم افندى
 قبعين طبع بمطبعة التقدم بالقاهرة سنة ١٩١٢ — ١٣٣٠ ص ٧٩
 اعتاد صديقنا العرب أن يتحف العالم العربي الحين بعد الآخر بشي* مما يكتبه
 المفكرون في روسيا ولا سيما ماله علاقة بالاسلام والمسلمين يتلطف في ترجمته وبوشك
 أن يكون وحده الذاهب بفضل هذه المزية في النقل عن الروسية ولانذكر من المعربين
 عنها الا أناسا لا يبلغون عدد الانامل من أبناء سورية عربوا شيئا قليلا عن لغة
 السلافين. أما هذه الرسالة فقد قال في وصفها المترجم «رأى الفيلسوف تحامل جمعيات
 المبشرين في قازان من أعمال روسيا على الدين الاسلامي ونسبتها الى صاحب الشريعة

الاسلامية أمورا تنافي الحقيقة تصور للروسيين تلك الديانة وأعمال صاحب تلك الشريعة بصورة غير صورتها الحقيقة فهزته الغيرة على الحق الى وضع رسالة صغيرة اختار فيها عدة أحاديث من أحاديث النبي محمد عليه السلام ذكرها بعد مقدمة جليلة الشأن واضحة البرهان وقال هذه تعاليم صاحب الشريعة الاسلامية وهي عبارة عن حكم عالية ومواعظ سامية تقود الانسان الى سوا السبيل ولا تقل في شيء عن تعاليم الديانة المسيحية»

وقد رد العرب الاحاديث الى أصولها وضم اليها مقالات نشرها بعض كتاب الروس في مجلاتهم بفضائل الاسلام وحقيقته فتشكر المترجم وترجو أن تصح غريمة كل عارف بلغة أجنبية أن ينقل لقومه ما بهمهم من الموضوعات وينقصها من المعلومات والايضاحات.

الحكمة المشرقية

تعريب محمد لطفي افندي جمعه طبع على نفقة مجلة البيان ص ١٠٠

معرب هذا الكتاب من رجال المحاماة والقلم والخطابة يعرفه القراء بما عرب وألف حتى اليوم فهو مثال النشاط المصري ونموذج الكاتب الاجتماعي المصري وكتابه هذا آخر ما نشره للناس وهو ذو أسفار ثلاثة الاول حكم فنا حوتب الحكيم الوزير المصري الثاني كاستان للشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازي الثالث كتاب التعليم الراقي للمرأة في اليابان للفيلسوف الياباني أونادايماكو . وفيها كلها من الحكم الروائع والكلم النوايع ما يجدر بالمتأدب الاخذ به وجذا لوضائف المترجم وأمثاله من الاكثار من مثل هذه الاسفار ليدفعوا عن الناشئة قليلا من السموم التي تنفثها في النفوس روايات الغرام والفوضى وأخبار اللصوص التي أضرت بأداب جمهور كبير من المطالعين في هذا القطر وفي غيره من الاقطار العربية وجذا لوضائف همة نظارة المعارف المصرية على منعها فهو أول واجباتها ومحاربة الرذائل لا يقل في النفع العام عن الاخذ بأيدي الفضائل

والاخلاق والاجتماع منها مايلد المطالع العربي ومنها ما لا يقدر له قيمة الا من قرأه بلغته الاصلية وتشيع بروح اللغة المنقول عنها وعرف عادات أهلها ومناحيهم وما يستطيعونه من القول وما يعجزونه والكتاب على عادة العرب في ما نقله جيد ممتع وفقه الله الى ترجمة أمثاله من الكتب النافعة ككتاب التروية لسبنسر والابطال لكارلايل وغيرهما من معرباته

كتب ورسائل مختلفة

أحسن القصص تأليف صالح بك حمدي حماد فيها ثلاث روايات عصرية مصرية مؤلفة: الاولى رواية الاميرة براعة في ١٤٢ صفحة والثانية رواية ابنتي سنية في ١٥٢ والثالثة رواية بين عاشقين في ١٣٧

حقائق عن الانتخابات النيابية في العراق وفلسطين وسورية لحقي بك العظم الاسلام والاصلاح تقرير رسمي للسرد بشر وود في الاسلام نشره محب الدين افندي الخطيب

اخبار وافكار

ثرثرة النساء

يقول احد علماء الانكليز ان ماشاع على الألسن من ان في دم المرأة أن تكون ثرثرة أمر ثابت من طريق العلم أيضا وناشئ حقيقة من توارد الدم الى دماغها على صورة تخالف توارده الى رأس الرجل فللمرأة برد عليها أعظم كمية من الدم الشرياني واصلا الى فقرتها على حين يصل الى الرجل أحسن الدم وأغزره الى الدماغ من جزئه الأعلى أو الى الحجة وعلى ذلك فيكون عمل الدم في الذكر والانثى مختلفا فالقسم الوريثي من الدماغ هو مركز الحواس وهو محل حاسي النظر والسمع في حين ان القسم

الاعلى يحتوى على مركز الارادة والشهوات والرغبات الناشئة من الشعور الداخلى .
فالتأثير المبنيه الناشي * من غزارة الدم في كلا القسمين يدل اذا على السبب في رؤية
المرأة الاشياء . بسرعة ولماذا تلو بسرعة أكثر وتكلم أسرع من الرجل وتلذذ بكلامها
وسهنا أكثر من الرجل فان لطف قواها في المداوك الحساسة وشدة ذكائها وتأثيرها
متنبهة فيها أكثر من رفيقها الرجل ثم ان مجرى الدم في الرجل أغزر في الجزء الخارجي
بسببه غرابة في ظواهره العالية من حيث الاعمال العقلية وحكماً أهدأ وارادة أقوى
ولذلك كانت المرأة ثمرارة أكثر من الرجل — قائمه جريدة الماتين .

تفوق الرجال

نشرت الكتابة المدونة صوفيا نادجدا في احدى صحف لندن إبحاثاً جديدة
بشأن اختلاف الاحساس في الحواس فقالت ان المرأة اسمى من الرجل في اللمس
والرجل اسمى منها في الشم ويختلف الرجل والمرأة في الحكم على الطعم فالرجل يشعر
بالمرارة أكثر من المرأة وهذه تشعر بالحلاوة أكثر وحاسة السمع في الرجل أقوى
منها في المرأة وغلظ رؤية الالوان عند المرأة أندرم منه عند الرجال وبيننا نرى من
يفلطون في تمييز الالوان من الرجال على معدل واحد في كل ٢٥ أو ٣٠ نرى عدد
النساء واحدة في كل ٢٥٠ بل ١٠٠٠ وهكذا في القابليات الادبية في الجنسين فقد
تبين بالاستقراء ان صفة الهدوء هي في الرجال على معدل ٢٥ في المئة في حين هي
في النساء على معدل ٣٠ وقد فرض على ٢٥ طالبا و ٢٥ طالبة أن يكتبوا في آن واحد
ومهلة حددت لهم ما يستطيعون كتابته من الكلمات فكان معدل ما كتبه الطلاب
١٣٧٥ كلمة وما كتبه الطالبات ١١٢٨

البقول الشافية

كتب طيب في جريدة الطان مبحثاً في البقول الشافية قال فيه ان الحروب في
القديم لم تكن ضارة كل الضرر بل أنت بمنافع عادت على الفاتحين بالشيء الكثير

فان نسا . مقدونية كن يسن مع جيش الاسكندر ليهيئ لارواجهن المحار بين طعامهم
وبذلك عرفن البصل اليابس والبصل الطرى والجرجير التي يتناولها المصريون ولولم
يداهم الاسكندر ابن فيلبس بلاد الهند لما استطاع العالم القديم أن يعرف الفاصولية
واللوييا . وأخذ سكان غاليا عن أهل فوسه اليونان الذين داموا اقليم البروفانس
الزيتون وضع الخبز وعاد القرطاجنيون من حملتهم على سردينيا يحملون البقدونس
ووجد أحد الانكليز في فرجينيا البطاطا على عهد الملكة اليزابت وبالجملة فاما عرفنا
معظم البقول المائبة بالاختلاط كثير مع شعوب الشرق والغرب ومن هذه البقول البصل
فقد عرف القدماء خواصه في ادرار البول ولطالما كان حياء البصل الدواء الحقيقي
يورث الرجال قوة وقد رأى أحد كبار أطباء القرن الثامن عشر ان أربع بصلات
تسحق في قليل من الخمر الايض تفتح الكلى وتسهل مجرى البول كما تسهل جميع
العقاير الحادة وقد عاد أحد اطباء بوردو منذ ستين بعد ان نسي الاستشفاء بالبصل
يسمح لاحد المصايين بالاستشفاء باستعماله مقليا ومشويا ومطبوخا فبعد ان كان
بطنه مملوءا ماء اخذ يخف انتفاخه ويرجع الى حالته الطبيعية وعالوا ذلك لما فيه من
ازوت البوتاس الطبيعي الموجود بكثرة في لب البصل وقد استعمل الدكتور دلكتشه
في باريز البصل علاجا لاحدى البئات كانت اصببت بالحناق ثم بالكلب وامتلات
ساقاها ماء وعسر عليها البول فلم تسكد تستعمل البصل الا وارتفع البول من ٢٥٠
غراما الى لتر واحد وخف الورم وزال هذا ويلاحظ ان بعض المعد يرى البصل
بطيئا على الهضم . ولطالما استعمل الثوم في الشفاء من الطاعون والوباء ورائحته تبخر
من الجلد والرئتين والتنفس ولذلك حظر اليونان الدخول الى المعبد علي كل من تناوله
فهو مضاد للتعفن أحسن من المواد غير الطبيعية التي تستعملها اليوم وكنا نشير على
الناس بالاكتثار من استعماله لولا انه تمام تم عليه روحه وأنفاسه .

ثم ان الارضى شوكى استعمل زمانا مسحوقا للشفاء من الحيات المتقطعة ولبه اذا
طبخ في الزبدة (القشطة) يكون لذيذا للناقين وينفع المصايين بالبول السكرى ومثل
ذلك يقال في الجزر والفاصولية وأحسن طريقة في الانتفاع من البقول أن لاتغلي كثيرا
لتفقد خاصية ما فيها من الاملاح النافعة بل أن تطبخ على البخار كما يطبخها من حتموا

على أنفسهم التغذى بالبقول أو على الطريقة الانكليزية ويكفي أن تجعل في سلم من المعدن تناط في القدر فوق ماء غال وبذلك نجتمع الى اللذذة قائدة . ويحتوى الجزر على صبغة كجايوة واملاح وفوسفات البوتاس وسكر وغير ذلك من الحبيبات والمواد النافعة في التداوى

واختلف العلماء في الهليون فمن قائل بأنه دواء أكثر منه طعام ومن مدع أنهم وقد قال الطبيب فريديريك في أوائل القرن الثامن عشر ان الشراب المعمول من جذوع الهليون يسكن الحفقان وهو أحسن مسكن للقلب والهليون أحد الجذوع الخمسة المدرة للبول وأحسنه البرى أما المزروع في الحدائق فقد فقد من خاصياته بقدر ما زاد في طعمه ولذاذته وتكثر مائته فتكون ٩٣ في المئة منه . واذ كان الهليون يهيج الكلى خصوصا فيمن تجاوزوا الخمسين بحيث قد ينشأ عنه ضرر فالاولى لهم الابتعاد عنه أو يستشيرون طبيهم في ذلك

ولقد كان الحس مما يرغب فيه القدماء ومنهم من يستعمله عقيب الطعام ويرون أنه مرطب للون وفيه من المواد ما ينفع في تنقية الأحشاء من الفضلات ويدخل مع السكرات في حساء البقول . وهذا الحساء اذا أخذ باردا على الزيق يكون مصلا نافعا شافيا من اضطراب المعدة ومن الإمساك الشديد وما نعا من التعفن ويمكن أن يتناول حارا ممزوجا بقليل من الشعيرة والسيد وتحضيره سهل وهو أن يغلي لتر من الماء مع ملعقة صغيرة من الملح الاسمر وتلقى فيها كراثان وجزرة ولغته ونصف خسة وقليل من الهندباء المسحوقة وان تغلى من عشرين الى خمس وعشرين دقيقة لا أكثر والا فتصبح مرة والمقصد مزجها لاجعلها حساء

وكان للعنفوق أيضا عند أجدادنا موقع مهم ولطالما وصفه كبار الاطباء الاقدمين لما فيه من الكبريت وقد أوصى كوبر أحد اطباء القرن التاسع عشر في استعماله لأمراض الجلد وتحسين التنفس واذا صعب هضمه فلا بأس بأن يضاف اليه أثناء طبخه ملعقة من بيكر بوات الصودا وكذلك السبانخ فان فيه حديديا حيا بكمية وافرة ولذلك ينفع كثيرا ارباب فقر الدم وفساده وهو ملين بما يحتوى من المواد الغروية سوا الكر والاحسن لمن فيهم مفضل ان يتعدوا عن تناوله . ومثل ذلك يقال في القرع

والجرجير والحردل الذي يهيج الاحشاء ويطهر الامعاء ولا ينبغي الاكثار منه لفتح
القابلية للطعام في البلاد الحارة فانه يضر

هذا وان البطاطا قد ارتأى احد كبار اطبائنا انها نافعة للمصابين بالبول السكري
يتناول منها المصاب به ١٥٠٠ غراما لما فيها من املاح البوتاس الخاصة الغريبة بحيث
ان الكيلو غرام منها يحتوى من المواد القلوية التي لا تحو بها معظم المياه المعدنية
التي تستعمل في امراض الكبد .

عظمة الجبان وشناؤه

كتب بول غولتيه في الطان مقالة تحت هذا العنوان قال فيها ان من لم يدخل
الجبن قلبه بعض الاحياء يعني على نفسه بانها متوسطة في مداركها وقابلياتها وانها غير
مستعدة للتبوغ والتفنن ومن لم يدخل في طور من الجبن ولو قليل في صباه يستحيل عليه
أن يلبس لسكل حالة لبوسها بدون تردد على العكس في الشبان الذين يجربون انفسهم
في مواطن الجبن والشجاعة فانهم من ارباب العقول المبتذلة على ان الجبن في المرء
ينبغي ان يكون محطة واحدة في حياته وصعب اذا تأصل الجبن بقليل من الحجل
والخوف فهو نوع من الاضطراب لا يخلو منه امرؤ وان وشفور زعم الاشتراكيين
ليصفر وجهه ويحجن قليلا امام الجمهور وكذلك المحامي بالي المشهور وكذلك كان شأن
بابوليون الأول وهو يقف امام شعبه فيتماسك ولم أصيب بهذا الجبن رجال ولا
سيما من الممثلين والمحاضرين والواعظين ولم من رجل يعد في كبار الخطباء فاذا جثته
تقدم له رجالا يحمر خجلا ولم من آخر يخوفه ابنه ويحسب له ألف حساب ومن ألوف
يخشون بأس نسايتهم ومن آخرين يخشون بأس الرجال ولم من أستاذ يخاف من
تلاميذه فيجبن امامهم وكان وهو تلميذ لا يخاف بادرة أحد ولم من رجل كبير العقل
واسع المدارك يجبن اذا التقي وأحق لأنه يدرك هول الموقف فلا يتيسر له أن يتفاهم
واياه بالنظر للفروق بينهما

والجبناء هم الذين غرز فيهم الجبن بالفطرة بدون أن يجبههم أحد فيجبنون
لأنفسهم بدون أدنى سبب فيخفق قلبهم ويحمررون ويصفرون ويهزون وتضيق

أنفاسهم وقد بصابون بمقص وغشيان وكم من ممثلة كبيرة أصيبت قبل الدخول الى المسرح بمثل هذه الاعراض وكم من امرى أضاع صوابه فلم يعرف ماذا يقول وماذا يريد فسلبت منه حاسة القول وحاسة الارادة وغاب فلم يع على نفسه يسكت فلا يحجر جوابا وينيب عن حضور ذهنه ومثل ذلك يصيب الطلبة في الفحوص وكم منهم من أخفق بسبب هذا الجبن. ولطالما شكنا الفيلسوف جان جاك روسو والمقنن مونتسكيو من جبن يتألهما حتى قال الاخير عن نفسه ان الجبن كان آفة حياتي

الجبان يضحك الناظرين منه فقد يرفع صوته في محل يجب خفضه ويخفضه في محل الرفع وتخلل حركاته وقد يخرج من الغرفة ويقع من تعلق رجله بالبساط ويربماحقر الكبير وكبر الصغير وربماظنه الحضور أحمق أخرق لا عقل له ولا معرفة ولذلك لا ينجح في حياته وكم من واحد يدفعه حب المال أن يذهب الى أقصى الارض فيستفيد من ضعفه ويظهر كذلك وليس هو سعيدا في حبه وربما كان هو المحب الحقيقي بحيث ان كل انسان مولع بالحب مهما بلغ من جسارته يصبح جبانا أمام محبوبه فلا يحب . والنساء لا يأخذ بمجامع قلوبهن الا الجسورون وليس للجبان حظ من النساء وما أقسى الحكم عليه في ذلك لانه لم يكن جبانا الا طمعا في العواطف

وفي تلك الحال يغير الجبن أخلاق المصايين اذ لم يستطيعوا التخلص منه ومن يتفوقون عليه يكونون في الغالب دونه على ان الجبان قد يختار العزلة عن الناس لئلا يتأله منهم ما يضره في عزة نفسه وينزله عن كبريائه على ان الجبان لا يظال على جبنه الا لضعف في ارادته وتضاؤل في امتلاك اضطراباته والدليل على ذلك ان الجبن يزيد وينقص بحسب الحالة الصحيحة والاحمرار يكون على أتمه فيهم يحمرّون بسبب وبلا سبب فهم يشبهون راكب الدراجة يخاف السقوط فتحونه رجلاه فيسقط وكم منهم من بقوا عازبين ولم يستمتعوا بالذائد وكم منهم فكروا في الانتحار ليخلصوا انفسهم فيه

وأحسن دواء للخلاص من الجبن ان لم يكن سهلا فهو ممكن أن يعتمد الى عمل كل ما يقوى المجموع العصبي وأكثر ما ينفع فيه التأني وتريية الارادة . وبالجملة فان الجبن محطة في الحياة يجب أن يقف فيها الشباب وهي جوهرية تتقد الرجل الذي يترنبي بأن تكرهه على ان يحسن قياد نفسه وتعد حياة داخلية دع أن الجبن في أكثر

الاحيان هو نتيجة استعداد لان يأتي صاحبه بالبدع والغرائب وقصارى القول ينبغي
أن يتفاهل خيرا للجهان على شرط أن يداوى نفسه ومثله هو الذى يخادنه التوفيق
بأن يكون رجلا فى هذه الحياة

الامم والحمامات

أرسل الدكتور كين أحد أطباء مانشستر بلاغا من ألطف ما كتب الى المجلس
الصحي في يورك من بلاد الانكليز بشأن نظافة الجسم الانساني والحمامات قال بعد
البحث الدقيق انه في كل عشرين نزىلا فى الفندق واحد فقط يستحم وفي مقدمة
المستحمين الضباط ثم من اعتادوا الألعاب الرياضية أما رجال الدين فهم اقل
الطبقات استحماما واذا وضعنا الامم ترتيبا فى الاستحمام فيكون رجال الانكليز
فى المقدمة ثم الايكوسيون والايرونديون ثم نساء الامريكان ثم نساء الانكليز ثم
رجال اميركا ثم الفرنسيين والالمان وهؤلاء على مستوى واحد والسر في تفوق
نساء الاميركان على نساء الانكليز فى النظافة هو ان نساء الاميركان لا يتحاشين
من الخروج بالبيسة النوم فى الفنادق امام الغزلاء بخلاف الانكليزيات فانهن
يتحامين ذلك ادبا وتعففا هذا ما قاله انكليزى فى حين كان من الامور الثابتة
فى اوروبان اكثر اهلها نظافة هم الانكليز والسر فى نظافة الانكليز ان الاستحمام
فى معظم فنادقهم مجاني فى حين ان الاستحمام فى الفنادق ولا سيما فى البلاد
التونسية يكلف الفرنكين والثلاثة كل مرة اما فى الشرق فن العجيب ان تقل
النظافة مع بذل الماء وتسهيل الوسائط عما كانت عايه فى القرون الوسطى مثلا

الاولو

نشرت المجلة الفرنسية مبحثا فى الاولو آتونا تحصيله فيما يلي : كان الاولو
الذى ترغب فيه كل ذات ظرف اليوم مشهورا عند المهرين والبابليين والاشوريين
والصينيين ورد ذكره فى العهد القديم والعهد الجديد واطلما اوع بحبه الشرق ولا

تسكل حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة الا اذا كان فيها كلام على اللؤلؤ ومازالت جميع بلاد الاسلام يتباعه ويكتفون منه بما حضر مهما كان حجمه لان اسبابهم المالية لاتساعدهم على ابتياع المدور منه ولا يستعملونه الا مثقوباً يجعلونه في الاساور والعقود ويدخل في بعض العقاقير ولا سيما في بلاد الصين التي تستعمل مسحوق اللؤلؤ في كثير من الادوية زعماً منهم بأن مسحوقه يعيد الى الشيخ نشاط الشاب في الخامسة والعشرين من عمره وهذا الاعتقاد في نفع اللؤلؤ قديم فقد قيل ان كلبوطاً ملكة مصر تناولت لؤلؤة حلها في الخل وكانت تعتقد بغناء هذا الدواء . وقد دخل استعمال اللؤلؤ الى فرنسا على عهد هنري الثاني على يد كاترينا دي ميديسيس ولم يستعمله الناس كلهم الا منذ نحو عشرين سنة بل كان خاصاً بالاعضاء والعظيمات ولطالما أحبت اسبانيا وبولونيا وجزء من روسيا الشرقية اللؤلؤ وعدته من أنواع الزينة الوطنية ومنذ نحو عشرين سنة شاع استعماله في انكلترا واطاليا شيوعه في فرنسا ثم أخذ ينتقل الى جميع بلاد أوروبا ويصل أميركا الشمالية والجنوبية والنساء يرغبن اليوم في اقتناء اللؤلؤ بحيث كادت الأثمان التي تبذل فيه تعد في فصل مالا ينتج من رأس المال فأصبحت مفاوص اللؤلؤ لا تقوم بما يطلب منها كل سنة حتى رأوا أن يتبعوا القديم منه المستخرج من جمهوريات أميركا الوسطى وهو الذي يصاد في بناما وكوستاريكا فبلغت أثمانه عشرين ضعفاً مما كانت تساوي ويتنازع أهل اسبانيا وبولونيا وروسيا لؤلؤهم من الهند والصين فيربون انلاس الراجات أو ملوك الهند بعض السنين ليخرجوا عن لؤلؤهم العظيم وإن كان يعز عليهم ذلك كما يعز على الصينيين أن يبيعوا لؤلؤهم خصوصاً ما كان منه مدفوناً مع آبائهم وأجدادهم لان العادة عندهم أن تدفن مع الميت جواهره وحليه ولا يلبث اللؤلؤ القديم أن يتنازع من المشرق فينقطع أثره وهذا السبب في غلاء ثمن اللؤلؤ فان ما يعاد منها أصبح نادراً ولا يعاد اليوم الا الصغير الحجم ففي سنة ١٩١١ التي كانت من السنين الجيدة في صيد اللؤلؤ في الخليج الفارسي لم يستخرج سوى نحو أربعين لؤلؤة تجاوز الواحدة الحصة والعشرين قحة وهو أحسن موسم للؤلؤ في بحر العالم كله وتقدر قيمة ما يستخرج من الخليج الفارسي سنوياً من أربعين الى ستين مليون فرنك ويختلف شكل اللؤلؤ بحسب اصدافها وقعر البحار التي تعيش فيها فاذا

كان قعر البحر كسبا جاء اللؤلؤ أبيض وإذا كان حديديا جاء لؤلؤه ملونا واللؤلؤ يستخرج وعن منطقة مستطيلة في بحار الارض في خليج فارس الى جزيرة مرغريتا الى فيزويلا فصايد أستراليا فصوع وتاهيتي وبناما وكليغورنيا والجزائر الهولندية وغير ذلك وخبر الصدف ما استخرج من المصايد القديمة أما المصايد الحديثة فتتضب بسرعة ولا توازي العناء في الاستثمار

قد يظن بعضهم ان من يصيدون اللؤلؤ أغنياء والحقيقة ان صائديه فقراء ويختلف عددهم بين ستين ومائتين ألفا في شاطئ " جزيرة العرب والمتجرون به من تجارهم الأغنياء لا يزيد عددهم على خمسة عشر شخصا ومصائد اللؤلؤ على ١٥٠ الى ٢٠٠ ميل من شاطئ بلاد العرب يقضون أعظم المشقات في صيده ويغوصون ثلاث دقائق في الغالب ومنهم من يهلك غرقا أو تعضه سمكة ولا يستطيع أن يغوص أكثر من خمس سنين ثم يضعف. قال الكاتب ولما رايت ما حل ببعض هؤلاء الغواصين ذكرت أو باش باريز فقلت في نفسي ليت الحكومة يرسلهم ليعملوا في صيد اللؤلؤ الاشغال الشاقة فإن هلاكهم واقع لاحتمال البلاد تنجو منهم واعظم سوق تقام للؤلؤ في العالم مدينة بومباي يقصدها تجاره من بلاد العرب ومصوع وسيلان وجزائر جاوة وغيرها من مصايد المحيط الهندي وفيها تكون لماسرة هذا الجسم الكريم شدة وعرامة واهم تجاره انكليز كان اهم مصائده بأيدي انكلترا وقيمة المستخرج منه تقل سنة عن أخرى وربما جاء يوم استعيص عنه في الزينة بالاحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والزبرجد على ان بعض معادن هذه آخذ بالنقص ايضا وتجارته اليوم تساوى مثات الملايين من الفرنكات وكما اغتنى منه تجار من الانكليز والاطاليين والالمان خصوصا ايام كان يباع بثمان بخس ولم تكن الاظفار متجهة اليه اما اليوم فندر من يبيع بثلاثة اضعاف ما يشتري وفي الماضي كان ذلك من المؤلف

الاسراف في القهوة

يزيد غرام العالم اليوم بعد اليوم باستعمال القهوة فالفرنسوى يصرف في السنة كيلو غراما ونصفا من البن والالمانى كيلو غرامين ونصفا والامريكى ثلاثة ونصفا

والبلجيكي خمسة ونصف والعثماني ستة ونصف والبرازيلي سبعة والانكليزي يكتفي بكيلو واحد. قالت المجلة راوية هذا النبا. وليت شعري هل اعتدال الانكليزي في القهوة نشأ عنه سكونه في عراك هذا العالم المعصي

الالكحول والامية

لاحظوا في المانيا ان الانتشار لا لكحول علاقة بتعليم الشعب فالعملة الذين يطالعون أكثر من غيرهم ولا سيما الصحف أقل استعمالا للالكحول من لا يطالعون في اقليم وزيمبرغ حيث نجد للسكان رغبة زائدة في المطالعة وتباع الصحف كثيرا يقل شاربو المسكرات أكثر من ولاية بوزن الالمانية التي يرغب سكانها عن المطالعة وتقل صحفها. وبذلك تسقط دعوى من قال ان العملة يزيد تعاطيهم المسكرات كلما قل علمهم وكثر فراغهم.

أكبر محطة

نعم الآن في أميركا أكبر محطة من محطات السكة الحديدية في العالم وهي محطة سكة بنسلفانيا نيويورك وتنتهي سنة ١٩١٥ تكلف تسعمائة مليون فرنك وأهم مافها الشرفات التي تبني لقبول الركاب وهم نازلون من القطار والخطوط الحديدية تعلو قليلا عن سطح الارض وتقام فوق المحطة عمارات ذات عشرين طبقة

الحملى المعاودة

قالت الطان: ان للحملى المعاودة شدة خاصة بسبب انتشارها العفنى وهي تسكث في أفريقية الشمالية وأفريقية الوسطى وينتقل ميكروبها الحزوني بواسطة الحشرات الطفيلية ولا سيما القمل وقد أكد نيكول ويلز ووتنسل ان هذه الحشرات لا يمكن أن تنقل الميكروب الى الاشخاص الذين ليس في جلدھم آفة او جرح فبحث العلماء منذ ذاك العهد عن كيفية انتقال المرض فاثبتوا ان الميكروب بات عند ماتلحق بالحشرات تتبدل وتصبح مرئية بالمجهر وتدخل الى الباطن فتتمو وتكيف تكييفها الاول بعد ثمانية ايام وهكذا يمكن التوقي من الحملى المعاودة اذا اعتنى السكان باهلاك الحشرات بدون

سحقها. والظاهر ان الحيات المعادة المنتشرة في بعض اقاليم روسيا وآسيا واورلاندة وكندا التي يسكنها اناس فلما يحفلون بالقواعد الصحية لها نفس هذه الوسائط في الانتقال والعدوى
الصناعة في النمسا

وجدت الصناعة النمساوية لها مصرفا عظيما في بلادها اذ زادت في الجهور القدرة على الاتباع بزيادة لجور العمال وسهولة استخدام العاملين لا يديهم وايدانهم ويستدل على زيادة المصروف من البضائع وقلة الصادرات منها بنمو عدد العمال في تلك الامبراطورية فقد كان عددها سنة ١٩٠٢ — ١١٩٥٤ مشروعا للصنع الحاصلات الصناعية ونحوها فاصبح عددها سنة ١٩٠١ — ١٤٥١٧ اي بزيادة ٢٥٦٣ منها ٢٦٣٩٠ معملا للنسيج و ٢٩٦٧ معملا لصنع الحجر والفخار والخزف والزجاج و ٢٣٣٥ معملا للمواد الماكولة و ١٥١٨ معملا للمعادن و ١٤٦٧ معملا للسلال و ٩٢٥ معملا للحاصلات الكيماوية وقد كان يعمل ١٧٢٣٠٠٠ شخص سنة ١٩٠٢ في هذه المعامل المختلفة والبيوت وعددها كلها ١٠٣١١٤ وتبلغ اجورهم ١٠٥ ملايين كورون فاصبح عددهم سنة ١٩١٠ ٢٦٦٦٠٠٠ شخص واجورهم ١٨٩٠ مليون كورون يعملون في ٢٣٠٠٠ معملا ومحلا فزيادة عدد العملة ٣١ في المئة والاجور ٥٧ في المئة بدل على ان قوة الاستهلاك في الناس قد نمت في النمسا على معدل واسع

السكك الحديدية الهوائية

يراد بالسكك الحديدية الهوائية النقالات المحتوية على ادوات للجور وطرق للدفع مؤلفة من سلك أو اسلاك معروفة من القديم ولم تستخدم في الصناعة ببلاد الغرب الا سنة ١٨٣٤ في حين كانت معروفة في نابولي وفي متحفها قطعة من السلك نحاس وجدت في خرائب بومبي وقد عرفت هذه النقالات الهوائية منذ زهاء الف سنة في يابان والصين جعلوا لها اسلاكاً من الياق نباتية ليجتازوا عليها الانهار والادوية العميقة ولكن اول وصف لسكة حديد هوائية لم يجر الا سنة ١٤١١ كما شوهد مسطورا في مخطوط محفوظ في مكتبة فينا ثم شاع استعمالها واخذ الومبارديون يعمدون اليها في اجتياز الانهار ونقل التراب لعمارة الحصون وفي كتاب لرجل ظهر في البندقية

نحو سنة ١٦١٧ أول تخطيط لسكة حديد هوائية تستعمل لنقل الاشخاص وكانت المانيا في العهد الحديث أسبق الأمم الى استخدامها فقد استعملوها سنة ١٨٧٢ في بناء الحصون في مزرع أولع بذلك الأميركان

الحبوب النافعة

للفوسفور دخل كبير في قوام الجسم الانساني كان البشر في أيامهم الأولى يحصلون عليه من البانهم ولحومهم ولما شرعوا يزرعون الحنطة ويمصرون الامصار ويختطون القرى أخذوا يعمدون الى البقول في الحصول على الفوسفور اللازم قال الدكتور هالم في الطان أن الارز الذي هو أن الارز هو أساس غذاء المشاركة يحتوي على ١٤ في المئة من الحامض الفوسفوري وفيه غذاء كاف حديدى ومطبوخه نافع في الشفاء من الاسهال أكثر من جميع الاحسية والعدس علي ما يظهر من تاريخ عيسو كان له شأن عظيم في القديم وفي العدس ٧ غرامات ٥٥ في المئة فيها فوسفات بل هي غنية بالحديد وكذلك يقال في الشعير وهو غذاء نافع والقرطان فيه مادة فوسفورية جيدة وهو يدخل في كثير من الدقيق المستعمل في تغذية الاطفال وفيه ١٤ في الالف من الفوسفات وهو نافع جدا للمصابين بالبول السكرى . والحنطة كانت في كل قرن غذاء نافعا تأتي بالفوسفات المطلوب في الاجسام وكان اجدادنا يتناولون الخبز أسمر بما فيه فنفعهم لان فيه ٧٠ في الالف من هذه المادة في حين لا يحتوي الايض أكثر من نحو واحد في الالف من الفوسفات ولذلك يفضل الاسمر على الايض في الصحة وقد قال بعض علماء الصحة ان انتشار داء ضعف المجموع العصبي (النوراستنيا) ناشي من تناول الدقيق الايض في الخبز وأحسن الخبز ما كان وسطا لا أبيض ولا أسود والايض منه قد كان منه مرض الزائدة الدودية المنتشر في هذا العصر . وقد قال الدكتور ان الحبل والرضاع يأخذان المرأة فوسفورا كثيرا وكذلك يفقد المرء فوسفورا كثيرا اذا كان مصابا باحدى الامراض المعدية كالسل والقرمزية والحي التيفوئيدية ومن أصيب بالحم والغم وانهاك عقله بالأشغال الفكرية ومن استرسل في شهواته وفي يرض الدجاج معوض مهم عن الفوسفور لان فيه ١٣ في الالف فاوض المتعوبين والمعمرين أن يتناولوا في الصباح عند قيامهم من النوم صفار بيضه يمزج بسكر ناعم في فنجان قهوة وتخلط بلطف في قهوة سوداء لا تكون غالية كثيرا